# الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ١٠ شارع الكرداسي عابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٤٣٦٩٢ ‏/ ٥٦٧٩٩

العدد ١٠٧ | الثلاثاء ١٦ من ذي الحجة سنة ١٣٥٩ — ١٤ يناير سنة ١٩٤١ | السنة الثالثة


## فهرس العدد


صفحة

١ ومصر ... ... ... ! : بقلم «مصري» ... ...
٤ العلم والمشكلات الحديثة .. : للأستاذ علي أدهم ...
٨ هل يتعلم الإنسان ؟ ... : « محمود عزمي ...
١١ عواصم عالمية كبرى ... : « محمد عبد الرحمن
١٥ الجامعة ورسالتها ... : « [illegible]
١٩ اللغة العلمية ... : الدكتور جورجي صبحي
٢٢ هل لدينا سياسة ثقافية عامة : [illegible]

صفحة

٢٦ كتب ... ولكن (قصة) : للأستاذ صلاح الدين ذهني
٣٠ البريد الجوي والقصة الصغيرة : « أحمد مختار صبري
٣٣ من شعر الشباب (قصيدة) : بقلم ملك عبد العزيز ...
٣٤ [illegible] : للأديب علي خليل الورداني
[illegible] مكاتبات من الهند — الهندي الصغير — كتب عن الحرب ... ... ...




# ومصر ...!

ملكت حوادث السياسة العالمية والحرب الثائرة في أطراف الأرض اليوم كل اهتمام الناس في مصر، كما ملكت اهتمامهم في سائر الأقطار حتى كأنهم قد أصبحوا جميعاً وليس لهم إلا وطن واحد هو العالم كله، وقد ثارت في ذلك الوطن حرب أهلية بين حزبين أو بين شيعتين تناوئ كل منهما عنيفاً وتسعى إلى الاستيلاء على الحكم، والناس يترقبون سير المعركة، ويترقبون نتائجها بقلوب قلقة وعيون ثائرة.

ولم تخل النفوس في كل شعوب الأرض من هزة خفية أو لوعة ألم كمينة في قرارتها كلما شاهدت ما في هذه الحرب المشبوبة من كوارث تهدد المدنية بالانتقاض من أساسها. حتى الأمم التي تخوض المعركة في أقسى صورها، لم تخل شعوبها ممن يرددون رثاء العالم ويظهرون الجزع على المدنية الحاضرة. تلك المدنية التي تعاونت الشعوب كلها على بنائها، والتي بذلت في سبيل إقامتها أعماراً ثمينة وعبقريات فذة، والتي علقت عليها آمال عظام في مستقبل البشرية عامة. ولقد سمعنا في أقوال زعماء السياسة آيات تفيض بالأسف على ما تقاسيه الإنسانية من ويلات، وتلوح في ثناياها عواطف الإنسان نحو الإنسان، وإن كان ذلك الإنسان من شعب قد ساقه

قادته إلى التدمير والتفاني ، وأثارته إلى الحقد والعداوة التي لا تعرف هوادة . فلا يسع المتأمل في هذا كله إلا أن يرى أن هذه الحرب الثائرة لم تدع إليها عداوة بين الشعوب من أمثال تلك العداوات التي كانت تدفع بشعوب الشرق والغرب في القرون الخالية ، وتجعلها تجتاح الأرض وتدك ما تجده في سبيلها من آثار العدو الممقوت . ليس الحال اليوم قريباً من حال تلك الأيام الغابرة ، فقد قطعت الإنسانية مرحلة التقاطع والتنابذ ، وكادت تبلغ أملها في التعاون بين الأقوام ، وفي إقامة السلام العام بينهم على أساس من التفاهم والتوافق لولا أن أصيب العصر الحاضر بمرض اعترض سلامته ونقض كل ما كان مؤملا من التقريب والتعاون بين شعوبه ؛ فقد تمكن أفراد قلائل في بعض البلاد من انتزاع أزمة الحكم قهراً من جمهورها ، وقاموا على رأس دولهم يوجهون سياستها كما شاءت لهم نفوسهم المريضة ، وكما صورت لهم مراماتهم الشاذة ، وبذلك شهد العالم مشهداً لم يسبق له مثيل مثل ما تدول الوقت الحاضر من ردة فكرية وعبث بأمور العلم والثقافة .

وليس من شأننا هنا أن نناقش الدوافع التي دفعت هؤلاء الزعماء المرضى إلى موقفهم ، الذي أدى إلى إشعال تلك النار المدمرة في العالم ، مخاطرين بتحطيم المدنية وإزالة آثارها التليدة . ولكن علينا أن ننبه إلى ما يجري حولنا ، وأن ننظر اتجاه الحوادث لمعرفة مكان مصر منها . فقد وقف شعب مصر في وسط هذه الحوادث كما وقفت الشعوب الأخرى ، وقد غلب عليه الأسى والاهتمام حتى كاد ينسيه نفسه ، ويجعل حوادثه الخاصة كأنها أمور ثانوية ترد إلى ظهر الفكر ولا تبرز في صدره .

ولكن الواجب واضح ؛ فنحن إذا نظرنا حولنا إلى معركة العالم ، كان علينا أن نتذكر دائماً أين موقفنا منها ، وأن نحاول أن نعرف موضع أقدامنا في الوقت الحاضر ، وفي مستقبل الأيام ، حتى يمضي شعب مصر العريق في القدم ؟ لنتطلع إلى آمال المستقبل .

ليس بين أقطار العالم قطر يشبه مصر في ظروفها الجغرافية والسياسية ، فهي بلاد فذة منذ مطلع فجر التاريخ من الناحية الجغرافية ؛ فليس يوجد قطر آخر تلتقي عنده مواصلات الشرق من جهة ، ومواصلات الغرب من جهة ؛ وإذا قلنا « مواصلات » فلسنا نعني بها مواصلات البحر وحده ، بل نعني كذلك مواصلات البر والهواء ؛ كما أنه لا يوجد قطر آخر يصح تشبيهه كله بأنه قلعة حصينة تحوي في داخلها كل ما يسمح لها بالمقاومة وتقوم على حدودها جدران هائلة من الصحارى الفسيحة التي تمكن حاميها من الدفاع عنها بغير أن تصاب هي بآثار الهجوم الخارجي ومكاورات الغزو . فإذا وجدت في مصر القوة الحربية وخطوط المواصلات السليمة كان من السهل أن تمد مصر بما تحتاج إليه من القوة اللازمة لمواصلة القتال [illegible] للدفاع وحده لا تنظر إلى شيء [illegible] وتتسع أمامها المجال للحركة في مدى واسع الفضاء لا تقيدها قيود الطرق والأنهار ، ولا تعترضها القرى الآهلة .

وأما من الناحية السياسية فإن شعب مصر شعب قديم قد شعر بنفسه منذ عشرات القرون ، شعر بأنه شعب قائم بنفسه متجانس في كل أجزائه معتز بذاتيته حريص على استقلاله ووحدته في مستقبله .

وهو شعب هادئ وديع رحب بمعاملات العالم كله ، ويحرص على تدعيم علاقاته بسائر الشعوب ، قريب إلى تفهم ثقافات العالم المختلفة ، راغب في الانتفاع بكل ما هو مفيد منها ، غير ضنين بأن يبذل للعالم خير ما عنده في سبيل خير الإنسانية الأعم . ولكنه مع هذه الأوصاف كانت الطبيعة في وجوده لم يتزعزع منها في عصر من عصوره ؛ فقد قاوم الرومان واتخذ لهذه المقاومة وسائل شتى — لم يزل أبناء حكمهم له عن مقاومته ، ولم يتهاونوا فيها في جيل من

الأجيال . ثم تقادم الحكم الأجنبي كله حتى أيام الترك ، فما زال حريصاً على التميز عنه والاحتفاظ باستقلاله النفسي ، حتى آل أمره إلى الاستقلال السياسي المنشود ، وقد أبدى في ذلك الجهاد حرصاً شديداً وعناداً قوياً لم يضعف شيء منهما على توالي الكروب والأهوال .

ولا يمكن لأحد يريد أن يرسم لمصر سياسة أن يهمل كل هذه الاعتبارات جميعاً وهي كلها تؤدي إلى نتيجة واحدة : أن مصر بطبيعتها الجغرافية وطبيعتها السياسية وحدة تامة مستقلة ، لم يكن من الممكن في وقت من الأوقات أن تنسيح في غيرها ، أو تتنازل عن شخصيتها ، أو تفنى في غيرها . بل لقد دلت حوادث التاريخ على أنها مثلت كل الشعوب التي ظنت في وقت من الأوقات أنها غلبتها ، وضمت أبناء تلك الشعوب إلى أفراد شعبها وخلطت دماءهم بدمائها .

فكل سياسة مستنيرة لابد أن تستمسك بهذه الظروف وأن تقوم على أساس واحد واضح ، وهو أن [illegible] وحدة مستقلة تتعاون مع الوحدات الأخرى التي يجمعها العالم في الشرق والغرب . وإذا كانت حوادث الحرب اليوم تجعل الجو مظلماً غير واضح المعالم ، فإن على الساسة أن يخترقوا حجب الظلام الغاشي لكي يجعلوا نظامهم متجهة نحو هذا القصد الواضح ، حتى تؤمن العثرات وتتحاشى الأخطاء .

وقد استقر مركز مصر السياسي منذ أبرمت معاهدة الصداقة الوثيقة بينها وبين بريطانيا العظمى ، ولم تكن تلك المعاهدة حادثة مفروضة ناشئة عن الصدفة أو الاتفاق الوقتي ، بل كانت نتيجة سير تيار الحوادث منذ سنين طويلة . فإن بريطانيا العظمى بحكم ظروف إمبراطوريتها قد وجدت نفسها مرتبطة بمصر ، ووجدت مصر بحكم ظروف موقعها أنها مرتبطة ببريطانيا العظمى ، وكانت بين الأمتين وجوه عظمى من التلاؤم مع اختلاف البيئتين ، وذلك لأن المصالح قد جمعت بينهما عند نقطة قوية كانت أساساً صالحاً لعقد تلك المعاهدة المباركة .

فمصر الحريصة على استقلالها قد رأت أن ذلك الاستقلال يستلزم انضمامها إلى جانب بريطانيا في نضالها حتى تطمئن إلى عدم الانفراد أمام الدول الأخرى التي قد تطمع في الاعتداء عليها ، كما أن بريطانيا قد رأت أنها محتاجة في ذلك النضال من العالم إلى صديق تطمئن إلى صداقته للأمن على مواصلاتها الامبراطورية ، ولا تخشى منه طعنة توجه إلى نقطة هامة من كيانها ، وتجد عنده في وقت الأزمات ما يساعدها على حفظ مصالحها . فاستقلال مصر بالنسبة لمصر أساسي لحياتها ، واستقلال مصر بالنسبة لبريطانيا أساسي كذلك لضمان وجود الصديق على طريقها الحيوي .

هذا هو ملخص الموقف في نظرنا ، وهو ما يجب أن يوضع أمام الأنظار دائماً لكي تتوفر المصالح جميعها وتتلاشى المخاوف من نواحيها . ومنذ أحست مصر أنها قد صارت [illegible] اعتقاد قوي بأن مصلحتها هي أن تكون [illegible] قوية ، وأصبح أهم ما تصبو إليه أن [illegible] خطر الاعتداء من أية دولة أخرى قد تطمع في الاعتداء على استقلالها ، ولذلك قد بذلت في هذه الحرب كل ما تستطيع أمة حصيفة أن تبذله في سبيل المعاونة على تحقيق سلامتها . حقاً أنها ليست عدوة لبلد من البلاد المتحاربة بالمعنى المفهوم من العداوة الدولية ، ولكنها حريصة كل الحرص على أن تدفع من أرضها كل محاولة تمس استقلالها . حتى وإن كانت هي غير مقصودة بالاعتداء في نفسها ؛ فإذا كان القتال الدائر بين الأمم يؤدي إلى المساس بذلك الاستقلال استرخصت في سبيل الذود عنه كل غال من الأموال والأنفس ، حتى تكون أرضها حرماً مصوناً . وهي اليوم واقفة مع حليفتها العظمى وقلبها ثابت وغرضها واضح ، ونفسها سخية بكل ما يستلزمه الجهاد في سبيل المحافظة على أرضها من تضحيات .

وقد بذلت مصر من تلك التضحيات ما نعتقد أن الدولة

# العلم والمشكلات الحديثة

للأستاذ علي أدهم

يعتقد أكثر الفلاسفة أن القيم المطلقة ثلاث وهي: الجمال والخير والحق؛ والعلم هو البحث النظر عن الحق، وأخص مزاياه أنه يطلق العقول من أسر الأوهام، ويقاوم التعصب للأفكار السابقة، ويبعث على النزاهة الفكرية والتجرد من الأثرة، وهو من هذه الناحية ميدان خلق صالح وغاية مطلوبة لذاتها، وهو ليس من ثم في حاجة إلى سبب مادي ملموس ليبرر وجوده ويقضي بفائدته، ولكن المعرفة قوة، وإدراك طبيعة الأشياء واكتناه أسرارها يمنحنا سيطرة عليها وقدرة على تسخيرها والانتفاع بها؛ فالعلم إذاً يجمع بين طرفي الحق والقوة، فهو من ناحية غاية في نفسه وفي عين الوقت وسيلة لغايات أخرى؛ والعلم من حيث هو غاية في نفسه يعني أكثر ما يعني الفضلاء والفلاسفة والمفكرين وأمثالهم من طلاب الحق المجرد والمعرفة الخالصة، ولكنه من حيث هو وسيلة يعني كل فرد ومجتمع.

والحضارة الحديثة تعاني أزمات خطيرة، وتعالج مشكلات تكاد تكون مستعصية، وإذا تدبرنا أكثرها وجدنا سببها أن العلم قد طبق على شؤون الحياة تطبيقاً غير محكم؛ وقد أغدقت الاختراعات العلمية الخيرات على العالم، ويسرت لهم الرخاء المادي بصورة تفوق تجارب الإنسانية الماضية، وتسمو على ما كان يحلم به الإنسان و[illegible] الأوهام؛ وقد ساقت إليه من ضروب النعم



الحليفة العظمى تقديراً لها حق قدره، [illegible] في إنفاذ عهدها بحرفه وروحه، كما يجب على أمة شريفة.

ولسنا في حاجة إلى بيان ما يجب على مصر أن تقوم به من التجهز لكي تكون قادرة على تأدية واجبها كاملاً في الدفاع عن نفسها، فإن كل مصري يعرف ذلك ويرغب فيه أشد الرغبة؛ وإذا كانت ظروف الماضي قد عاقت ذلك التجهز فإن ظروف اليوم مواتية للمضي فيه بغير تردد؛ وإنا نحمد الله على أن عقيدة الحليفة العظيمة في صداقة مصر قد صارت اليوم ثابتة بفضل ما أظهرته الأيام من قاطع تلك الصداقة وإخلاصها؛ فليس في الوقت الحاضر ما يمنع من أن تسير مصر في تجهزها إلى مداه لتكون أقدر على تأدية واجبات الدولة المستقلة الصديقة.

ولكن يجب ألا يبعد عن أذهان أبناء هذه البلاد، ولا عن أذهان أبناء الشعب البريطاني الصديق أن مصر إذا كانت [illegible] الاستمرار على التجهز وإتمام وسائل سيادة الاستقلال فإنها قد بذلت إلى اليوم في سبيل الدفاع عن نفسها جهوداً لا تقدر، وإنه بفضل هذه الجهود العظيمة وبفضل إخلاصها في إنفاذ معاهدتها المباركة قد مكنت حليفتها العظمى من أن يصاحبها الفوز في هذا الركن من الأرض، وهي تنتظر ذلك اليوم الذي تنجلي عن العالم غمة هذه الحرب الطاحنة، وتنتهي المعركة بنصرة الحق والمدنية والديمقراطية، لكي تكون أقدر على تدبير شئونها وعلى معاونة العالم في أيام السلم وعلى تطمين صديقتها الكبرى على أمنها في هذه النقطة التي يصافح فيها الشرق الغرب. فمصر القوية المستقلة بغير شك خير ضمان لأمن صديقتها وشد أزرها والمحافظة على مصالحها، ولا شيء أضمن في علاقات الدول من صداقة قائمة على الثقة وحسن النية وإخلاص الأحرار.

« مصري »

وألوان المسرات وصنوف اللهو ما لم يكن يطمح إليه بصره ولا يدنيه الوهم إلى خاطره ؛ ولكن تقصر ذلك لتعد إلى ما كان عليه العالم قبل مائة سنة ، والذين ينتقدون الأحوال الحاضرة ، وينادون على طريقة جان جاك روسو بالعودة إلى الطبيعة — إذا ثبت أن عقولهم سليمة وأعصابهم غير متلفة ، أو أنهم جادون في دعوتهم ، وليست هي من قبيل التبرم بالحضارة والولوع بالغرائب والمفارقات — لا يحتملون هذه العودة إذا ظفروا بها وظفرت بهم ؛ والطبيعة في العصر الحاضر قد قلّ عصبها إلى حد كبير ، وربض جانبها وانتفى خطرها ؛ ومتاعب الإنسانية في هذا العصر مصدرها التقدم الفني ، فقد سبق تقدمنا الفني رقينا الاقتصادي وتفكيرنا الاجتماعي ؛ وهكذا شاءت الجدود العواثر أن لا تكون مطايا العلوم بريئة من العيوب ولا خالية من الشوائب ؛ وقد أحدث التقدم الفني مشكلات جمة تزداد شدة وتفاقماً مع الأيام .

وأكثر هذه المشكلات حديثة ولم تكن تطرق العصور السالفة ، لأن الاختراعات الفنية أوجدت ظروفاً غير مسبوقة وليست على مثال متقدم ، وقد نقلت الإنسان من أحوال مضت عليها مئات السنين إلى أحوال جديدة وآفاق غير مألوفة وأعطته بفضلها طريقة وأدوات مستحدثة . وقد بدأ هذا التحول المعروف في عرف الاقتصاديين والسياسيين بالثورة الصناعية منذ اختراع جيمس وات للآلة البخارية في أواخر القرن الثامن عشر ؛ فقد كان استعمال البخار بمثابة تسخير خادم قوي لا يمسه اللغوب ولا يدركه السأم ، وفي وسعه أن يضاعف مجهوده ، فهو أعجب شأناً من خادم مصباح علاء الدين ، وقد مكن ذلك أصحاب المعامل والمصانع من زيادة الإنتاج والاستغناء عن عدد كبير من العمال ، وقلب ذلك الأوضاع الصناعية والأحوال الاقتصادية ، وأوجد علاقات اقتصادية جديدة وأشكالاً غير مسبوقة ؛ وقد كانت هذه الثورة في بادئ أمرها مقصورة على بريطانيا ، فكثرت مصانعها ، وتدفقت الخامات إلى الجزر البريطانية من شتى الأنحاء ، وأصبحت بريطانيا مصنع العالم ، ولكن هذه الأيام السعيدة لم تدم طويلاً ، فقد أخذت دول أخرى تتعلم الصناعة وتحذقها وتنافس بريطانيا ، وانتقلت المنافسة من أوربا وأمريكا إلى آسيا ؛ فاليابان والصين والهند التي كانت أسواقها مفتوحة على مصاريعها للمصنوعات البريطانية أصبحت ضمن منافسي بريطانيا ، وبذلك ذهبت سيطرة بريطانيا الصناعية .

وقد كان لهذا الرقي الصناعي نتيجتان متناقضتان ، فمن ناحية أخذت المصانع تخرج سلعاً ومصنوعات أكثر مما كان في الماضي لإشباع مطالب الإنسان المادية ، ومن ناحية أخرى قلت الحاجة إلى استخدام عدد كبير من العمال ، وقد نشأ من ذلك مشكل متناقض عجيب ، وذلك أنه مع الرخاء الوافر والإنتاج العميم نجم اشتداد الفاقة وتزايد الحرمان ؛ والخطأ هنا في التوزيع وأساليبه لا في الإنتاج وطرائقه ، وهذه المشكلة من أكبر مشكلات العصر الحديث .

وليست البطالة في العصر الحاضر مشكلة محلية موقوتة ، وإنما هي الآن مشكلة عالمية مستمرة ، لا يخفف من وطأتها انتعاش التجارة ووفرة الأرباح ، وقد استفحل داؤها وعز علاجها ، وهي لا تتلاشى فحسب ، بل تتزايد وتتفاقم لأنها ناشئة في الأصل من تقدم العلم وتطبيقه العمل الذي تزداد كفايته وتنمو مقدرته ويتسع نشاطه وتعظم براعته ؛ وقد تصدى لعلاجها الديكتاتوران المعروفان هتلر وموسوليني ، وأوهما أتباعهما أنهما سيأتيان بالمعجزات ، ويفجران الماء من الصخر ، وكان قصارى سعيهما أن يعالجا تلك الأزمة بالإسراف في صنع الأسلحة وتهيئة أمتيهما للحرب ، وما صنعاه لم يخرج عن كونه أكذوبة

اقتصادية قلبت أنظارها في صرخة من صرخات اليأس ، وثورة من ثورات الحيرة .

وحل هذا المشكل لا يصلح له رجال على طراز الديكتاتوريين الحاليين ، وأمثالهم أنصار السوء وتربية الشر وتقض مبرم العهود والاستهانة بكل شريعة ! وإنما يتطلب أنقى العقول وأرجحها ، ويستلزم جدة في الرأي ونضارة في التفكير وصفاء في النفس ونزاهة في القصد ، ووضع مصلحة البشرية فوق كل اعتبار ، لا مصلحة شعب من الشعوب أو أمة من الأمم أو طبقة من الطبقات ؛ فكيف توزع هذه الفيوض الغامرة من الخيرات وهذا الإنتاج الضخم الزاخر الذي يحيل العالم فردوساً أرضياً ؟ وكيف توازن بين الجهد والثروة ، وكيف تلبى حاجات الإنسان المادية دون أن تسيء إلى نفسه وتنقض بناء الروح وكيانه الأدبي ؟ هذه هي المشكلات التي لا مفر من مواجهتها إذا أردنا سلامة المجتمع [illegible] الانحدار إلى الهاوية والتعثر في السير .

فتأثير تطبيق العلم على شئون الحياة يؤلف إحدى أبرز أسباب أزمة العمال المتعطلين التي تطيح من هولها أكثر الأمم ، وعلاجها على طريقة الاكتفاء بالمشروعات التموينية وإقامة حواجز التعريفات والرسوم الباهظة ؛ أو من ناحية قومية خالصة ، لا تكفي بل يزيدها استعصاء .

والمشكلة الفادحة الأخرى التي قذف العلم بها العالم الحديث ، هي مشكلة التسليح وخطر الحرب ، وهي مسألة تستوجب أن نفكر فيها تفكيراً عميقاً دولياً ، فتوفر الثقة بين مختلف الأمم يخفف هذا العبء الثقيل ويزيح هذا الضغط الشديد ، ويمنع وقوع النكبى الروعة ، ويجنب العالم أهوال الحرب . ولا ريب أن كل من كان يطرب ويبتهج لتقدم العلم قد صدمت الحرب القائمة آماله أشد صدمة ، وخيبت ظنونه ؛ فقد أظهرت هذه الحرب بصورة واضحة أن المخترعات التي لم يكن يشك في عظيم نفعها يمكن أن يساء استعمالها فتصبح مصدر شر كثير ، وبلاء مستطير ، وآلة كيد وانتقام ، ووسيلة هدم وتخريب ، على مدى واسع وعنف ووحشية يفوق ما كان يحدث في الجاهلية الأولى . فكيف انقلب هذا النبع العذب تياراً جارفاً لا يبقي ولا يذر ؟ لقد تعب الإنسان في بناء الحضارة ، واستلزم ذلك تضحيات كثيرة ومجهودات مضنية متواصلة ، واستغرق طويل السنين ، فهل هو يعمل الآن على هدم بنيانها وتدميرها ؟ وما علة ذلك ؟

إن العالم قبل أن تنضج حكمته ، وتتوطد كلمته ، وتسمو أخلاقه ، وتنسام أحقاده وشروره ، قد ألقيت بين يديه وسائل يستطيع بها أن يبيد جنسه ويستأصل شأفته ، [illegible] ضمير العالم من فتوته فكيف نتقي أخطار الحرب وندفع غوائل تخريبها ؟

[illegible] الهجوم قوة أسلحة الهجوم أكثر وأمضى من أسلحة الدفاع ، وذلك واضح في الطيران ؛ ولسنا ندري ما عسى أن تكشف عنه الحرب الحالية ؛ فإن بقية من الضمير أو الخوف من مقابلة العمل بالمثل تمنع الآن من استعمال جراثيم الأوبئة والأمراض الفتاكة والغازات السامة والخانقة ؛ ولكن من يدري ما يولده الإحراج والخوف من شبح الهزيمة ، واليأس من الانتصار ، في نفوس قوم تنكر فلسفتهم وجود الضمير ، ولا تعترف بالرحمة ، وليس بينهم وبين الشر حجاز من دين أو عقيدة أو نحوه ؟

ولقد سادت في السنوات الأخيرة فكرة الحكومة « التكنولوجية » وهي ترمي إلى إلقاء مقاليد الحكم إلى أيدي الفنيين بعد سحبها من أيدي الساسة ؛ وهذا الرأي ربما يقدر التخبط الذي أصاب العالم ، لأنه من السهل أن نستكشف في السياسيين مواضع القوة ومواطن الضعف ،

ولكن الحقيقة التي لا تحتمل المماراة فيها أن السياسة صفات مختلفة اختلافاً غير يسير عن الصفات التي تحمل الانسان على متابعة البحوث العلمية؛ وليست هناك فائدة كبيرة تتحقق من وراء نقل قوم من الميدان الذي يتقنونه إلى الميدان الذي يجهلونه ويتطلب صفات مختلفة. وحقيقة أن العالم قد ألف أن ينظر إلى الأشياء نظرة مجردة خالية من الغرض، وهذه صفة نافعة في المسائل العامة وليست بالقليلة القيمة، ولكن سرعة توالي الحوادث وتبدل المواقف ستشغله وتفل رأيه، وسيعجز عن سبر أغوار وعواطف الجماعات ومشتبك المصالح القومية والعلاقات الدولية.

والمدنية تقدم العلم ببعض البرامج الاجتماعية، ولكن معالجتها من الأمور الميسورة، والنقص الجوهري هو أن التقدم الأخلاقي لا يزال متخلفاً عن التقدم العلمي، والعمل على التقدم الأول هو طريق الفلاح ودفع الخطر.

إننا لا نستطيع أن نلوم العلم [illegible] لقوى الطبيعة على وفرة المحصول؛ وليس العلم [illegible] العلم من أسباب الراحة ووسائل الرفاهية، وإنما في النظام الاجتماعي الذي يحول دون التوزيع العادل. والمشكلة الآن هي أن نلائم بين نظامنا الاجتماعي والاقتصادي والظروف الجديدة التي أوجدها تقدم العلم والاختراع، لأن اشتداد البؤس وكثرة الحرمان مع وفرة الخيرات وكثرة الإنتاج دليل واضح على وجود عيب دخيل في النظام الاجتماعي والحالة الاقتصادية.

ولقد كانت الحضارات القديمة تسقط في غالب الحالات بسبب الغزو الخارجي والغارات التي تشنها الأمم القوية من الوجهة الحربية على الأمم التي أنهكها الترف وأضعفتها الحضارة؛ وكان يظن أن الحضارة الحديثة ستفلت من مثل هذا المصير لما في يدها من أسلحة قد زودها بها العلم الحديث؛ ولكن الخطر الذي يتعرض المدنية الحديثة ليس من الأمم التي تستعمل معدات حربية قوية، وإنما من الأمم التي افتنت في إبلاغ هذه المعدات مرتبة عالية من الإجادة والإتقان؛ فالعلم الحديث بدلاً من أن يدفع عن الانسانية شر العدوان أصبح سبباً من أسباب إعداد وسائله وتمهيد السبيل لوقوعه.

وقانون الغابات والأدغال هو قانون الاعتراف بالقوة وحدها والقضاء على الضعيف وفقدان الشعور بآلام الغير وعدم تقدير القيم السامية؛ وقد تغلب الانسان في معركة تنازع البقاء لأن ذكاءه وبناء جسمه مكناه من السيطرة على الأشياء ومغالبة الحيوانات التي كانت تستطيع إبادته؛ وخلال ذلك تهذبت غرائزه بفعل التهذيب، والسمت واتسعت عاطفته من الأسرة إلى القبيلة، ثم تعدت إلى الوطن والقومية، وهي تصل إلى أسمى المراتب عندما تشمل العالم بأسره والانسانية جميعها؛ وكل أمة تنحو بجهودها إلى طلب السيادة وابتغاء المجد مدفوعة إلى ذلك بأنانية قومية وتحريضات إجرامية، تعوق حركة التطور وتعود بالعالم إلى الوراء؛ وصيانة الحضارة تقتضي أن تتعاون الأمم جميعاً على حل تلك العقدة التي أوجدها العلم بتمكينه الانسان من السيطرة على قوى الطبيعة والإنتاج الكبير والافتنان في صناعة الأسلحة الفتاكة. وخلاص الانسانية موقوف على التوفيق بين المثل العليا الأخلاقية ونتائج البحث العلمي الحديث.

على أدهم

# ٢ – هل يتقدم الانسان ؟

للأستاذ محمود محمود

رأينا في المقال السابق أن جمهرة المفكرين بعد النهضة كانوا يؤمنون بأن الانسانية تسير في طريق التقدم ، ولم يشذ منهم سوى (روسو) الذي علا إلى التمدح بالعصر الذهبي القديم . وكان (روسو) يعتقد أن الانسان يجلب لنفسه أسباب الألم والشقاء كلما ابتعد عن حياة السذاجة والبساطة . والانسان عنده يميل إلى الخير بطبيعته ، ولكن هذه المدنية التي نشأ فيها شر كلها ، لأن العلوم والفنون المختلفة تفسد النفوس والأخلاق . ويتخذ روسو من التاريخ شاهداً على ما يقول . فقد تقدم العلم عند اليونان والرومان وأهل الصين ، فساد البؤس والشقاء بين الناس . أما الفرس والسكيثيون فقد عاشوا عيشاً سعيداً لأن الجهل كان من أهم مميزاتهم . ويقول روسو إن الانسان لم يعرف الملكية إلا عندما اشتغل بالزراعة . حينئذ قسمت الأرض بين الأفراد ، وظهر الغني والفقير ، وخرج الناس عن قاعدة المساواة القديمة . وفي هذه التفرقة بين الأفراد أس الشقاء . ثم أخذ الانسان يتقدم في عقله ونظامه ، ولكن التقدم لم يشمل سوى طبقة الأغنياء ، أما الجماهير فقد لبثت إلى يومنا هذا فقيرة جاهلة .

ويحاول شاستلكس Chastellux أن ينقض نظرية روسو ، ويقول بأن هذا الانسان الأول الذي تحدث عنه روسو لا نعرف عنه شيئاً ما ، ولهذا فانا لا نستطيع أن نحكم — ونحن على ثقة — بأنه كان أسعد منا حالاً . فان أردنا أن نقدر عصرنا هذا حق قدره فانما ينبغي لنا أن نقيسه إلى فترة تاريخية معروفة ، لا إلى عصر ذهبي خيالي . ويتتبع شاستلكس مراحل التاريخ ، ثم ينتهي إلى الحكم بأن الانسان لبث يعاني صنوفاً من الشقاء وضروباً من الذل ، من عهد قدماء المصريين حتى النهضة الأوروبية . ثم أخذ يسعد حالا بعد النهضة لا لتقدم العلوم وحسب — لأن العلم وحده لا يكفي لتوفير أسباب الهناء ، فقد انتشر بين الاغريق ومع ذلك بقيت كثرتهم تكابد ذل الرق والبؤس — ولكن لانتشار السلم ، وذلك لأن الكاتب عاش في عصر ساد فيه السلام بعد فترة طويلة تطاحنت فيها شعوب أوروبا ، وقاست فيها أهوالا عصيبة . ثم يثبت بعد هذا أن عدم المساواة لا يؤدي حتماً إلى الشقاء ، فقد يسعد المرء في خضوعه للحر ، ويشقى في سيادته وغناه . هذا إلى أن الحكم على سعادة الفرد أو شقائه بسعادة المجموعة أو شقائها خطأ يجب أن لا يقع فيه الباحث ، لأن السعادة أمر نسبي ، ويتوقف على انسجام الفرد مع الجماعة التي يعيش فيها ؛ فان كان متفوقاً وسط جماعة متأخرة كان أسعد منه متأخراً بين جماعة متقدمة . ولما كان الحكم على سعادة الأفراد عسيراً هكذا ، فان (أوجست كنت) يقول بأنا يجب أن نبعده من الميدان عند البحث في موضوع المدنية .

واندلع بعد هذا لهيب الثورة الفرنسية . ومن كتاب هذه الفترة التاريخية الذين بحثوا في تطور الانسان Condorcet ( كوندرسيه ) . وكان شديد الثقة في العلم ، يعتقد أنه يعمل على محو الرق بين الطبقات وبين الأمم ، وعلى قتل جراثيم المرض ، ومد أجل العمر ، وتخفيف ويلات الحروب . ولذا فهو في بحثه التاريخي لا يقسم التاريخ وفقاً لتطورات السياسة ، وإنما التاريخ عنده يتبع مراحل التقدم العلمي ، وهو يقع في عشر فترات ، انقضى

منها شيء ، وبقيت واضحة المستقبل . وقد تكونت الجماعات البدائية في الفترة الأولى ، وعرف الانسان الرعي في الفترة الثانية ، والزراعة في الفترة الثالثة ، وانتهت هذه الفترة باختراع الكتابة . وتشمل الفترة الرابعة تاريخ الفكر اليوناني وتمتد حتى أرسطو الذي قسم المعارف علوماً مختلفة . وتأخذ العلوم في التقدم خلال الفترة الخامسة ، ولكنها تنحط قليلاً في عهد الرومان . وتشمل الفترة السادسة العصور الوسطى المظلمة وتمتد حتى الحروب الصليبية . وفي الفترة السابعة يتهيأ العقل البشري للثورة الفكرية التي تشملها الطباعة . وفي الفترة الثامنة تنطلق العلوم بين طبقات الشعب لذيوع الطباعة وانتشار الكتب . وتبدأ الفترة التاسعة بثورة ديكارت العقلية ، وتحريره العقل ، وتنتهي بالجمهورية الفرنسية . وهكذا تسير الانسانية في سبيل التقدم حتى تبلغ الكمال في الفترة العاشرة ؛ وحينئذ تسود المساواة بين الناس ، [illegible] الكمال وأهم مميزاته . وكوندرسيه في هذا الكتاب [illegible] روح الثورة الفرنسية .

وكما شغل البحث في تقدم الانسان أذهان الفرنسيين في القرن الثامن عشر ، كذلك تعرض له فلاسفة الانجليز ، وكان هؤلاء أشد تفاؤلاً من زملائهم في فرنسا ، لأن حكومتهم كانت أشد من الحكومة الفرنسية استقراراً ، ونظامهم أقرب إلى العدل والمساواة ، والحكومة عندهم أداة لحفظ الأمن والنظام ، لا وسيلة للاصلاح والترقي ؛ لأن الانسان مدفوع إليهما بطبعه ، وليس بحاجة إلى من يرشده في ذلك سواء السبيل . ويتمثل رأيهم جيداً في عبارة Pope ( بوب ) المشهورة : «Whatever is, is right» أي ( كل ما كان فهو خير ) . ومن المتفائلين الانجليز (هيوم) و( آدم سمث ) و( جبن ) و( جدوين ) ولم يشذ عنهم غير Malthus ( مالتس ) لأنه كان يخشى أن يطرد ازدياد السكان حتى تضيع موارد الرزق في العالم .

وإلى جانب المدرسة الانجليزية كانت تقوم المدرسة الألمانية . ومن زعمائها ( كانت ) ، وكان يرى أن العقبة الوحيدة في سبيل الترقي هي الحروب ، ثم (هيجل) وكان يعتقد أن الانسان يتقدم بتحقيق الحرية ، وأن التاريخ يسير في هذه الطريق من قديم ، فقد بدأت المدنية في الصين ، ثم انتقلت إلى الهند وإلى غربي آسيا ، ثم سارت من الشرق إلى بلاد اليونان ، ثم إلى الرومان ، وأخيراً إلى العالم الجرماني . وكان الناس في الشرق يعتقدون أن الحرية لا تكون كاملة إلا لفرد واحد ، ولذا فقد كان حكمهم يقوم على نظام الملكية المطلقة التي يستبد بها فرد واحد ، هو وحده حر في كل ما يفعل وكل ما يريد . أما اليونان والرومان فكانوا يعتقدون أن الحرية تتوفر لبعض الناس دون بعضهم الآخر ، ولذا فقد كانت حكومتهم مزيجاً من الأرستقراطية والديمقراطية . أما العالم الحديث فيرى أن الكل [illegible] ، ولذا فحكومتهم هي الملكية الدستورية التي يتمتع فيها كل فرد بقسط وافر من الحرية .

ثم أخذت فكرة التقدم بعد هذا تتطور ، وتتخذ أشكالاً متنوعة ، ونستطيع أن نقول إن Comte ( كنت ) هو مؤسسها الحقيقي . وقد حاول هذا الفيلسوف أن يضع لارتقاء البشرية قانوناً ثابتاً ، فقسم الفكر الانساني إلى مراحل ثلاث : المرحلة الأولى وهي المرحلة الدينية ، وفيها حاول الانسان أن يفسر الظواهر الطبيعية بفعل الآلهة وتأثير الجن . والمرحلة الثانية ، وهي المرحلة الميتافيزيقية ، وفيها يحاول الانسان أن يفسر ظواهر الكون بالتأمل والفكر المجرد . ثم المرحلة الأخيرة ، وهي المرحلة العلمية ، وفيها يعتمد الانسان على الملاحظة والتجربة . وأرقى المراحل وأثبتها أساساً هي المرحلة الثالثة . ولكن فروع العلم المختلفة لا تبلغ مرحلة واحدة في آن

واحد ، فقد يبلغ بعضها المرحلة الميتافيزيقية بينما يتخلف بعضها الآخر في المرحلة الدينية ، وقد يرتفع بعضها إلى المرحلة العلمية ، ويبقى بعضها الآخر في المرحلة الميتافيزيقية . فبأي فرع من فروع العلم إذاً نقيس حضارة الانسان ؟ يرى (كنت) أن العلوم الاجتماعية هي معيار المدنية ، لأن معارف الانسان جميعاً إن هي إلا وسائل متنوعة لرفع مستواه الاجتماعي والخلقي والعقلي ، ولا قيمة للتقدم المادي إذا لم يعقبه تقدم في النظم الاجتماعية . وقد اجتاز الانسان المرحلة الدينية عام ١٤٠٠م ، ثم انتقل إلى المرحلة الثانية ، وقد أوشك أن يجتازها هي الأخرى ، وينتقل إلى المرحلة العلمية التي كان (كنت) نفسه يمهد سبيلها .

ومن الباحثين المعروفين في تاريخ المدنية في القرن التاسع عشر Buckle (بكل) ، ومن رأيه أن المدنية القديمة كانت تخضع الانسان للطبيعة بينما تخضع المدنية الحديثة الطبيعة للانسان . ولما كانت قوى الطبيعة ثابتة لا [illegible] على خلاف قوى العقل التي تنمو بالمران ، [illegible] المدنية الحديثة قابلة للتقدم والتطور ، وهي في هذا على عكس المدنية القديمة الجامدة ؛ وقوى العقل إما علمية أو خلقية . ويتساءل (بكل) : أيهما أقوى أثراً في سير المدنية ، وأيهما يصلح مقياساً لها ، العلم أم الخلق ؟ وهو يرى — جواباً على هذا — أن معايير الأخلاق لم تتغير كثيراً منذ آلاف السنين ، أما العلوم فتتقدم تقدماً سريعاً ملموساً ، ولذا فالعلم هو مقياس الحضارة الحق ، والتقدم العلمي — في هذا — أقوى أساساً من التقدم الخلقي ، لأن الأول يسجل في الكتب ، وينتقل من الآباء إلى الأبناء ، أما الثاني فيكاد كل فرد أن يبدأ من جديد دون أن يفيد من خبرة السابقين وحكم الغابرين . فعلى تقدم العلوم إذاً يتوقف سير المدنية إلى الأمام .

ثم أخذت فكرة التقدم تقوى تدريجاً في القرن التاسع عشر ، وتجد لها الأعوان والأنصار ، وخاصة بعدما أذاع (دارون) نظرية التطور التي تقول بأن الانسان قد نشأ عن نوع دنيء من الحيوان ، وأخذ يصعد في سلم الترقي من الناحية الجثمانية .

وأخذ (سبنسر) نظرية التطور من (دارون) وطبقها على الاجتماع والأخلاق ، واستنتج أن الانسان يرتقي في ناحيته الروحية كما يرتقي في الناحية الجثمانية . ويقول (سبنسر) إن كل شيء في الوجود يتغير ولا يثبت على حال . فليس من المعقول أن يبقى الانسان وحده ثابتاً لا يخضع لهذا القانون العام .

وأخذ الفلاسفة بعد هذا يتعرضون لهذه الفكرة ، ومنهم المتشائمون من أمثال (جيته) و (شوبنهور) و (نيتشه) ، ولكن كثرتهم تميل إلى التفاؤل .

* * *

وبعد فهذا عرض موجز لآراء الفلاسفة والمفكرين في تقدم الانسان ، ومنه يتبين أن فكرة الترقي ترجح فكرة التدهور أو الجمود ؛ فليس من الشطط أو سوء الرأي أن ننظر إلى الحياة باسمين ، وأن نشخص بأبصارنا إلى السماء نخترق بها هذه السحابة الكئيبة التي تخيم على العالم اليوم . وليس ببعيد ، بل إننا لعلى يقين ، أن الانسان بعدما يخرج من هذه الحرب التي يصطلي سعيرها سوف يتابع سيره نحو الخير والنور .

محمود محمود

---

# عواصم عالمية كبرى

## خلال التاريخ

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

العاصمة أو الحاضرة أو القصبة كلها بمعنى واحد. وفي العاصمة دائماً مركز الحكم، وأداة الحكومة، وفيها يجتمع رجال الدولة لتصريف الشئون، وإدارة الأمور. وفكرة إنشاء العواصم والحواضر قديمة منذ نشأت البلاد، ومنذ بدأت الجماعات الكبيرة تسكن أرضاً معينة، أو تقطن بها آمنة.

وفي التاريخ القديم تتردد أسماء عواصم كبرى، وسماها كل رعية تمثلت فيها ثقافات أمم مختلفة، واختصت فيها جماعات متعددة من رجال الحكم وأهل السلطان بتدبير شئون الرعية وإدارة الأمة. و[illegible] مناراً للحضارات تشع منها على البلاد وتمشي في شعاع نورها، وعلى هدى ضوئها.

ولقد ذهب كثير من هذه العواصم، وعفى الزمان على آثارها، ودرست القرون معالمها، اللهم إلا بقايا من طلل متهدم، أو جدار متصدع، أو حجر باق، أو تمثال قائم. ولكن ذكر هذه العواصم لا يزال قوياً يجلجل في أصداء الزمان، وفي أنحاء الخلود.

والبلاد باقية زائلة تتقلب عليها أحوال، وتتناوبها أمور، ويلم بها ما يلم بالحادث من فناء وعفاء. ولكن ذكر العواصم يبقى مدوياً يرن في أذن الزمان كأنه النغمة الخالدة، أو الأنشودة الأبدية.

وفي الشرق القديم نجد أسماء: طيبة، وممفيس، وتدمر، وبابل، وصنعاء، وصور، وجلق، والاسكندرية؛ وفي الغرب القديم نجد روما وأثينا، كما نجد بين الشرق والغرب مدينة بيزنطة التي سميت بعد بالقسطنطينية.

وفي شبه الجزيرة العربية على بداوتها وخلوها من الحضارة عرفوا نظام العواصم. فللحجاز عاصمته، ولنجد حاضرته، ولليمن قصبته، ولكل قطر من أقطارها أو حي من أحيائها مدينة كبيرة يجتمع فيها الحكم والتجارة، وتشد إليها الرحال من كل ناحية تبعاً لأهميتها ومنزلتها.

ولا شك أن مكة من أقدم العواصم في الشرق العربي، وترجع شهرتها إلى بناء الكعبة فيها، وحج وفود الجاهلية إليها، يفدون من كل قطر، وينسلون من كل واد، ويطوون الأرض القفار فدفداً إثر فدفد، تقرباً وتعبداً. سكنها أول من سكن إبراهيم وذريته وهي في وادٍ غير ذي زرع، فهاوت إليها الأفئدة، وانهالت عليها الثروات. وظلت كذلك حتى جاء الإسلام، فزاد لها جلالها [illegible]. وكان النور الذي انبثق منها [illegible] إليها الأنظار، وجذب إليها القلوب، فزادت شهرتها، وجمع أهلها إلى تجارة الصيف والشتاء بين الشام واليمن، شرف الهجرة إلى المدينة عندما اشتد الأذى على النبي. وشرع بعد ذلك الحج إليها والطواف بكعبتها، والوقوف بعرفاتها، والسعي بين صفاها ومروتها، فزادت شهرة وشرفاً وتعظيماً.

وليس عندنا وصف أو تخطيط لهذه العاصمة الإسلامية الكبرى أيام النبي عليه السلام إلا ما ورد في كتب السيرة، وقصص المغازي، فلم تكن الخطط عرفت في ذلك الحين، غير أننا نستطيع أن نتصورها مدينة عامرة مزدحمة السكان كثيرة الأسواق، ونتصور فيها الدور والأبنية، ولكنها لم تصل إلى فخامة الدور، وارتفاع القصور، ونتصور فيها الشوارع وفيها الغادي والرائح، وفيها الغاض من بصره، وفيها الفاسق بنظره — كما في الحديث

الشريف — وفيها مجالس الصحابة من التي يستمعون إليه، ويرسمون الخطط، ويديرون النظر.

انتقل الحكم الاسلامي من مكة إلى المدينة بهجرة الرسول، ففقدت مكة مركزها السياسي الحكومي، لأن الأداة الحكومية ابتعدت منها. ولكنها لم تفقد مركزها الديني، فهي إلى اليوم العاصمة الدينية المقدسة للآلاف المؤلفة من المسلمين، يؤمون ويحجون شعارها... وهناك وجه الله.

ومن الغريب أن مكة الجاهلية على اشتهارها ومكانها وكثرة الوافدين عليها لم يعرفها قدماء المصريين، على حين أنهم عرفوا كثيراً من مدن الشام وفلسطين وأغاروا عليها! وسبب ذلك بعد الشقة، وطول الطريق. ولقد كانت هذه الشقة تهون على عرب الجزيرة، ويسهل أمامهم كل صعب في الوصول إليها، لأنها دار حجهم، ومكان أصنامهم، وبيت آلهتهم. يفد إليها الحجيج ... كل ... الأرض، ويذكر ذلك زهير بن أبي سلمى فيقول:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله

رجال بنوه من قريش وجرهم

ويقسم بها النابغة الذبياني معتذراً للنعمان فيقول:

فلا لعمر الذي طيفت بكعبته

وما هريق على الأنصاب من جسد

ويحلف النابغة بالنياق الدافقة الذاهبة إلى جبل الآل قرب مكة فيقول:

مصطحبات من لصاف وثبرة

يزرن ألالا سيرهن التدافع

على أننا نسأل: هل سمع العرب بمدينة طيبة المصرية؟ وهل جاءهم خبر عن عين شمس؟ وهل ذهب منهم رحالة إلى بلاد آمون ودار رع، كما وفد «هيرودوت» المؤرخ الرحالة اليوناني الكبير؟

ونعود فنسأل سؤالاً آخر: لقد زار أبو التاريخ هيرودوت مصر القديمة في القرن الخامس قبل الميلاد، وساح في بلاد الشام، وجاب آسيا الصغرى وشرع آشور وبابل، فهلاَّ خطرت له مكة عاصمة الصحراء البعيدة الأطراف، الترابية الأكناف؟ أما خاف أن يضل في رمالها أو يتيه في وديانها...

أما بابل فقد كان لها نصيب من جولة هيرودوت، وكانت في ذلك الحين عاصمة البابليين، وكان لها من الحضارة حظ عظيم. وتكاد تجمع كتب التاريخ وأسفار الخطط القديمة على أنها واحدة من أغنى مدن العالم القديم وأكثرها عظمة وجلالاً؛ ونكاد نتخيلها في أيام (نبوخذ نصر) مدينة فخمة، كثيرة المباني، عالية السور، مختلفة الأشكال، ناضجة بالقصور ... الأنس، حتى ضرب بها المثل لكل مدينة عظيمة مزدحمة مثل لندن في وقتنا هذا.

واشتهرت بابل بحيطانها الضخمة العالية، وبحدائقها المعلقة التي تعد من عجائب الدنيا السبع. ولم تطل أيام بابل — وكل ما في الدنيا قصير العمر، سريع الأجل — فسقطت في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، ومن ذلك الحين اندمج تاريخها في تاريخ الفرس.

على أن هذه الحضارات القائمة على شواطئ دجلة وعلى مجرى الفرات، كانت تطاولها حضارة وتساميها مدنية قائمة على شواطئ النيل الزاخر بخيره، الباقي على تتابع السنين... وكان لابد لهذه الحضارة المصرية من عاصمة، كما كانت لحضارة البابليين عاصمة، وكما كانت لعرب الصحراء العربية الوثنيين عاصمة.

وتوالت على مصر الحواضر والعواصم تبعاً لرغبة الملوك وأهواء الحكام، وظروف الأزمان.... ولا شك أن أخلد تلك الحواضر وأبقاها على الدهر (مدينة طيبة) التي كانت يوماً من الأيام حاضرة الصعيد أو مصر العليا.

وطيبة منبسطة الساحة ، واسعة الرقعة ، تمتد على عشرة أميال مربعة من وادي النيل على شاطئيه الشرقي والغربي ، وأكاد أتخيلها الآن مدينة عامرة زاهرة ، فيها القصور الشاهقة ، والمعابد الضخمة ، والشوارع الواسعة ، وفيها بيت الملك ، ودار الحاكم ، وقصر الشريف ، ومعبد الكاهن ، وفيها الدور ، والرياض ، والضواحي والأرباض ، وفيها البركة المقدسة ، والروضة المنسقة .

لقد ازدهرت هذه العاصمة التاريخية في مسافة ما بين القرنين السابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد ، وإن كانت ترجع إلى ما قبل ذلك بكثير ، ففي بعض خرائبها ما يعود إلى سنة ٣٥٠٠ ق م ولكنها الآن :

أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لبد

ولم يبق منها إلا آثار نواطق ، وخرائب عتيقات صوادق ، ومعابد ومعالم ، هي وديعة الأيام عند الأبناء ، وتراث الأجداد للأحفاد .

وبالقرب من طيبة الآن وادي الملوك والملكات على الضفة الغربية للنيل ، تتكاثر فيه القبور ، وتتلألأ فيه المعابد ، وتنطوي تحت صخوره الصُّم أجسام ملوك :

قرب مضطجع منهم وكانت     تساق له الملوك مصفدينا

ومن العواصم المصرية المشهورة منفيس التي أسسها الملك « مينا » ليوحد فيها ملكي الوجه البحري والقبلي . وهي مدينة عريقة ، وكانت تزخر بالسكان وتموج بهم موجاً ، وقد قدرتها بعض المصادر التاريخية بأنها زخرت بستمائة ألف ساكن ، وهو عدد عتيد بالنسبة إلى تلك الأيام السحيقة .

على أنه بجانب العواصم السياسية المختلفة ، كانت تقوم عواصم أدبية : إما لشهرة في الأدب أو لمركز في العلم ، أو لمكان في الثقافة أو لمنزلة بين العلماء والحكماء والفلاسفة . وكانت هذه المراكز الثقافية الأدبية تنطق على شهرة العواصم الرسمية ، وتبدع أهميتها . والاسكندرية أصدق مثال يحضرنا على ذلك ؛ فهي لم تكن في مصر إلا مركزاً ثانوياً ، ولكنها طغت على كل مدينة سواها في هذه البلاد ، وكسفت آثارها . أسسها الاسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، وما هي إلا لحظة من لحظات التاريخ حتى رأيناها حافلة بالعلماء ، غاصة بالفلاسفة ، مائجة بأهل الفضل والمعرفة ، مشحونة بالأسفار القيمة ، يفد إليها أهل العلم من كل حدب ينسلون . ثم تتكون فيها مكتبة حافلة بالكتب العظيمة ، ثم تبلغ الكتب فيها على رواية المؤرخين سبعمائة ألف مجلد . ثم تجتذب هذه الحركة العلمية في الاسكندرية العلماء من اليونان والرومان ، فإذا هم حضور يتوافدون إليها ، ينهلون من موردها ، ويستقون من معينها ، ثم تصطرع فيها أفكار ، وتحتك آراء ، وتتكون فلسفة تسمى الأفلاطونية ، ثم يدركها ما يدرك الدنى من خراب ، وما يلحق القرى من دمار ، فتحرق المكتبة ، ويتهم المؤرخون ذوو الأغراض الغلاة بالاسلام ، فيتهمون عمر بإحراقها . ثم تذوى شهرة الاسكندرية في غضون تاريخ مصر رويداً رويداً . ثم تعود إليها الشهرة عن طريق التجارة ، ويزورها محمد بن عبد الله بن بطوطة المؤرخ الرحالة المشهور في القرن الرابع عشر الميلادي فيصفها بأنها (الثغر المحروس ، والقطر المأنوس ، العجيبة الشأن ، الأصيلة البنيان ، بها ما شئت من تحسين وتحصين ، ومآثر دنيا ودين) . وكان زارها قبله أبو عبيد البكري الأندلسي من رجال القرن الحادي عشر الميلادي ( ١٠٤٠ — ١٠٩٤ ) فأحسن وصفها في كتابه « المسالك والممالك » .

وإلى هذه العواصم الزاخرة في الشرق كانت تقوم عاصمتان كبيرتان يدين لهما العالم بدين كبير في التراث الفكري : أولاهما « أثينا » والأخرى « روما » .

أما «أثينا» فهي العاصمة القديمة والحديثة لبلاد اليونان، ويكفيها شرفاً أنها مولد «إفلاطون» تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو. فعلى أرضها درج، ومن هوائها الطلق تنشق ريح الحكمة، وعبير الفلسفة. ويزيدها شرفاً أنها مهد الحكمة الغربية القديمة، ومنبع الفلسفة الذي استقى منه كل ذي فكر يفكر، وعقل يدبر.

ولقد بلغ من مكان (أثينا) في الحكمة، ومنزلتها في العلم والمعرفة، أن كثيراً من المدن الحديثة سميت باسمها. وفي الولايات المتحدة وحدها أكثر من عشرين مدينة تحمل هذا الاسم العظيم. وإلى عهد قريب كانت مدينة (أدنبره) تسمى أثينا لمضاهاتها لها في حمل لواء الحكمة والمعرفة والفلسفة.

وفي «أثينا» نفسها عاش أحكم الحكماء سقراط، وقضى أيام حياته فيها. وكان يتجول في طرقاتها، ويتسع فضائها، معلماً الناس العدالة والصدق. وكان يأخذ نفسه بالتدين والورع، ولم يستمع فيها شيئاً يغضب الآلهة — كما روى عنه (أكزنوفون).

وفي أثينا أيضاً عاش أرسطو مدة من حياته، وعلم الاسكندر بن فليب وعلمه — بعد حملة الاسكندر على آسيا — إلى الليسيوم، يعلم الطلبة الحكمة والفلسفة.

كانت أثينا مائجة بطلاب الحكمة وأهل المعرفة، كما كانت زاخرة بأهل الثروة والتجارة. وكانت فيها الصنائع والمبانى ذوات الطراز الجميل. ولا يزال فيها إلى اليوم «البارثنون» ناطقاً بقدم جلالها. وهو معبد مشيد للإلاهة (أثينا) العذراء الحكيمة — إلاهة الحكمة، وخاصة في الفنون الحربية والسلمية. وباسم هذه الربة الجليلة سميت (أثينا) المدينة الخالدة على مر السنين، وتوالي العصور.

و«البارثنون» هو أجمل بناء قديم في العالم اليوم، وإذا كانت أهرام الجيزة تمتاز بضخامتها وجلالها فإن مزية «البارثنون» في جمال بنائه، وحسن موقعه، الذي جعله فريداً في آثار العالم قديمها وحديثها. وطراز (دوره) (معماره) هو الطراز (الدورى) المعروف بقدمه وقوته وبساطته من بين الطرز اليونانية الأربعة.

ومن تلازم المعانى وتداعيها في مثل هذا المقام أن نذكر «روما». وأى عاصمة أحق من «روما» بالذكر جنباً إلى جنب مع أثينا؟! فقد حملت كل منهما شعلة الحضارة في عصور متقاربة، وأزمان متتالية. وأسلمت (أثينا) التراث البشرى الغالى إلى «روما»، وعنها أسلمته إلى الاسلام حتى انتقل إلى الغرب ثانية عن يد المسلمين أنفسهم.

وقصة بناء «روما» ونشأتها، وعظمتها وسقوطها، تكون قصة تاريخية موجزة من أمتع ما يستطيع المؤرخ أن يكتب، وأن من أحزن ما يستطيع أن يدون. ويرجع نشأتها إلى أسطورة قديمة لم تحقق علمياً، فيقال إن (رومولوس) بناها سنة ٧٥٣ قبل الميلاد. ثم أخذت تنمو كالزهرة المتفتحة للحياة، المتنسمة الشمس والهواء. وأصبحت أهم مدينة في المملكة الايطالية، ثم عاصمة للامبراطورية الواسعة المتسعة، الآخذة في توسيع رقعتها وبسط سلطانها، العادية بعد ذلك إلى قرار سحيق سنة ٤٧٦ بعد الميلاد حينما أغار البربر عليها في تقدمهم وزحفهم.

ولما كانت (مكة) مقر الوثنية وعبادة الشرك ودار الأصنام في الجاهلية، وقبلة المسلمين، ودار حجهم ومحل شعائرهم في الاسلام، فإن (رومة) كانت عاصمة الامبراطورية الوثنية قبل المسيح والمدينة المقدسة، وقبلة النصارى ودار البابوية بعد ميلاد المسيح. وذلك اتفاق عجيب بين هاتين المدينتين المقدستين. فقد احتفظتا بصبغتهما الوثنية أيام الوثنية، ثم احتفظت كل منهما بدين سماوى

# الجامعــــة ورسالتها

## ٣ — الحياة الجامعية[1]

يتجه الباحث الذى ينشد الاصلاح عادة إلى مواطن الضعف أكثر مما يتجه إلى مظاهر القوة فيما يحاول بحثه ، وهذا شأن الكثيرين ممن يتناولون شئون الجامعة المصرية بالنقد والتحليل . فنحن نؤمن بأنها — على حداثة عهدها — قد أثبتت حقها فى الوجود ، وقد أحرزت فى جهودها نصيباً من النجاح ، وقد أثرت بعض الأثر المحمود فى حياة البلاد . ونحن إذ نوازن بينها وبين الجامعات الأخرى لا نغفل ناحية التطور ، ولا ندعو إلى الطفرة فى اقتباس النظم الصالحة .

ولكن هناك نواحى نقص فى حياتنا الدراسية والاجتماعية ، يبدو لنا أن معظمها ميسور الإصلاح بشىء من المرونة فى فهمه وعلاجه . ومن [illegible] الامتحان ؛ فالأمر ما أخذت هذه الجامعة الناشئة بنظام الامتحان مرتين كل سنة ، وكتب على الطلبة والأساتذة أن يوجهوا جهودهم طول العام للامتحان ، وتخصصت فى هذه العملية طائفة من هيئة التدريس فى كل كلية أصبحت مراجع يعتمد عليها فى كشف خفايا هذا النظام وإدراك دقائقه ؛ فما يكاد ينتهى شهر إبريل حتى تعكف هذه الطائفة فى حجرة خاصة على الأسئلة والأجوبة والقوائم والدرجات . وتستمر فى اشتغالها هذا حتى منتصف شهر يونيه ، ثم تنفض على أن تعود إلى استئناف جهادها فى أواخر أغسطس حيث مأساة الدور الثانى . ويتخلل ذلك بالضرورة اجتماعات لمجالس الأقسام ومجالس الكليات ، يبحث فيها أمر الدرجة والدرجتين ، والسقوط فى مادة أو مادتين ، والنقص [illegible] الدرجة الواحدة فى المجموع أو حسابها ، وضياع [illegible] درجة أو إنقاذه ، وما كان من يرعون بمعزل عن الشبهات العقلية ، والاختلاف على النسبة المطلوبة للنجاح ، وما إلى ذلك مما يصلح مادة خصبة للناقد الحصيف . .

(١) راجع العددين : ١٠٣ و ١٠٤ من الثقافة .

---

صارت عاصمته ودار خلافته ومقر عبادته .

و « روما » « كأثينا » فى حفولها بالآثار القديمة والأطلال الباقية ، والرسوم العافية ، والبقايا المتناثرة هنا وهناك ، تشهد بمجد قديم ، وحضارة عظيمة .

ففيها الآن بقايا (الكلوزيوم) وهو المدرج المعظم ، وفيها بقايا الحمامات التى كانت معدة لتسع ١٦٠٠ شخص ، وفيها القناطر الأثرية التى ترجع إلى ماقبل المسيح والتى تمد المدينة الآن بحاجتها إلى الماء من جبال (الابنين) ومن هضاب (ألبان) . وفيها الحائط العظيم أو السور الذى يحيط بها ويحجزها من الضواحى التى أنشئت فى العصور المتأخرة .

و « روما » اليوم عاصمة إيطاليا الحديثة ، كما كانت عاصمتها فى القديم .

ومن عجب أن هاتين العاصمتين الغربيتين — أثينا وروما — قد أخذتا الكثير من حضارة الشرق وثقافته . وكانت حضارة مصر تسبق حضارتيهما بأشواط بعيدة ، وأزمان بعيدة . ورحم الله شوقى حين يقول عن الفراعنة :

مشت بمنارهم فى الأرض (روما)
ومن أنوارهم قبست (أثينا)

(للكلام بقية) محمد عبد الغنى حسن

إن الشكوى من الامتحانات ظاهرة عامة لا تكاد تخلو منها أمة من الأمم الراقية ، وقد كشف العلماء عن مساوئ الامتحان بما لا يدع زيادة لمستزيد . ولكن النظام الذي أخذت به جامعتنا أربى في نقائصه على كل نظام جامعي معروف ، ويكفي في التدليل على هذا عقد موازنة بسيطة بينه وبين النظام المتبع في جامعة أوربية معروفة كجامعة لندن . إن الطلاب الانجليز في المدارس الثانوية يبقون في دراستهم حتى سن السادسة عشرة ، ومتى بلغوا هذه السن استطاعوا أن يغادروا المدرسة ، ولو لم يجتازوا امتحان (Matriculation) . وهو المقابل للبكالوريا عندنا — ومن أجاز منهم هذا الامتحان فله الخيار بين أن يخرج إلى دنيا العمل وبين أن يبقى سنة أو سنتين في المدرسة ، ليقوم بدراسة وسط بين التعليم الثانوي والتعليم الجامعي ؛ حتى إذا بلغ الثامنة عشرة كان له أن يتقدم لدخول الكلية التي يختارها من الجامعة ، والكثرة الغالبة من هؤلاء التلاميذ تنصرف عادة عن الجامعة إلى العمل في المصالح ، أو إلى الاستعداد للتدريس في المدارس الأولية ، أو إلى الالتحاق بالمعاهد الفنية ، أو التمرن على أعمال التمريض في المستشفيات . . .

أول ما يعمله الطالب — بعد دخوله واحدة من كليات لندن ، هو الاتصال برئيس القسم الذي سيدرس فيه ، والاتفاق معه على الزمن الذي يحسن أن يستغرقه الإعداد للدرجة ، وعلى نوع هذه الدرجة ، شرفا أم عادية . ويقضي الطالب السنة الأولى في دراسة فرعين من فروع المادة التي سيتخصص فيها ، وفرعين آخرين يختارهما من بين مجموعة تحددها لوائح الجامعة . وفي آخر السنة يتقدم في هذه الفروع الأربعة لما يسمونه « الامتحان المتوسط » ؛ فإذا جازه بدأ المرحلة الأساسية في دراسته ، وهي تستغرق سنتين ، وفي الأغلب ثلاثا ، ولا يتخللها امتحان مطلقاً ، بل يقسم الطالب محاضراته حسب مدة دراسته ، فيحضر منها مجموعة كل عام ، ويُعِدّ فيها البحوث والمقالات لأساتذته ، ويبقى على اتصال دائم « بمُشْرِفه » الجامعي ؛ حتى إذا جاء موعد الامتحان الأخير كان الطالب قد أعدّ له عدته ، وأحاط بفروع دراسته ، وربط بين بعضها وبعض رباطاً وثيقاً .

من أخص مزايا هذا النظام — كما نرى — الاقتصاد في الوقت ، وإلقاء مسئولية الدراسة على عاتق الطالب ، وإشعاره أن النجاح في الدرجة أمر يخصه هو ، وفي يده بلوغه والامتياز فيه . ويتمشى مع هذا — جنباً إلى جنب — حرص الأساتذة على أن ينصحوا لطلابهم ألا يحضروا في الأسبوع أكثر من سبع محاضرات أو ثمان ، معللين هذا بأن الدراسة الجامعية الصحيحة تستلزم من الوقت الخاص للطالب (لكل ساعة يحضرها في الجامعة) ثلاث ساعات يقضيها بين المصادر ، ويبحث مستقلاً . وبعض طلاب السنة النهائية في الأقسام العلمية يعتذرون أحياناً من أن يحضروا أكثر من محاضرتين في الأسبوع .

أرأيت الفرق بين هذا النظام وبين نظام حياتنا الدراسية في مصر ؟ إن الطلبة في بعض الأقسام عندنا يحتم عليهم أن يحضروا أكثر من عشرين محاضرة في الأسبوع . لهذا نرى الملل مخيما عليهم ، ونراهم يتلهفون لانتهاز أول فرصة تعرض لتضييع شيء من الوقت ؛ ومنطقهم في هذا جد معقول ، فكل يوم يمر من غير دراسة يخفف من أعبائهم أثناء العام ومن أثقالهم يوم الامتحان .

هنالك إذاً — من بين العوامل — عاملان يتعاونان على شلّ الجهود العقلية في الجامعة ، وعلى تعكير صفو الحياة فيها ، ذانك هما الامتحانات السنوية ، والإسراف في عدد المحاضرات التي يكلف الطلبة حضورها . ولعل من

التدرج في إصلاح الناحية الأولى ، أن تجعل التخصص المتدرجة من مرحلتين ، تتكون كل منهما من سنتين ، وتنتهي كل منهما بامتحان ، ويستطيع الطالب أن يفرغ — في الامتحان الأول — من المواد الأساسية في دراسته ، ثم يعد بعده للامتحان الأخير في فروعه التي تخصص فيها .

أنا — إذ أقترح هذا الاقتراح — أعلم تمام العلم ما يعترض به المعترضون من أن الطلبة عندنا ليس لهم وازع من أنفسهم على العمل ، وأن نظاماً قريباً من هذا قد جُرِّب في بعض الكليات ، ثم عدل عنه بعد أن تبين إهمال الطلاب في الدراسة ، وتقصيرهم في التحصيل . ولكني لا أفهم أن نداوي النقص بنقص مثله ، ولا أرى من الحزم قبول هذا المبدأ في فلسفتنا التعليمية . فإذا كنا نشكو من طلبتنا ضعف الثقة في نفوسهم ، وعدم اعتمادهم على مجهودهم ، وعدم شعورهم بالمسئولية الفردية ، فلنحاول نحن من جانبنا الوسائل الإيجابية التي تعالج هذا النقص ، إن لم يكن عاجلا فآجلا ؛ والعبرة في مثل هذه النظم بالنتائج المستقبلة الدائمة ، لا الحاضرة العارضة .

* * *

على أن هذا الجو الدرسي — الذي عهدناه في الجامعة عندنا — لم تقف آثاره عند إضعاف الإنتاج العلمي فيها ، بل تعدته إلى إضعاف حياتها الاجتماعية . وناحية الاجتماع — كما يعلم المشتغلون بالتعليم — ركن أساسي في بناء أي جامعة . فالجامعة — كما يدل اشتقاقها اللغوي — وكما تقتضيه طبيعة عملها ، تقوم على الاجتماع والتعاون . وكل من درسوا في الجامعات الإنجليزية — مثلا — يعرفون كيف يحرص الإنجليز على الآثار المنطوية في جامعة منطوية في جماعة ؛ فليست الدراسة عندهم مجرد معرفة تحصل ودرجات تنال ، ولكنها حياة غنية متعددة الجوانب ؛ وليست صلات الطلاب معاً ، والمامهم معاً ، بأقل أهمية في حياة الجامعة من دراستهم معاً ؛ وليست الامتحانات مقاييس للعلم والمعرفة فحسب ، ولكنها مقاييس للخلق والإرادة أيضاً .

يبدأ العام الدراسي هناك — وتختم فصوله بصلاة عامة يشترك فيها أفراد الكلية جميعاً ، طلبة وأساتذة ، حيث يخرج موكبهم ، يخطر في جلاله ووقاره ، حتى يصل بيتاً من بيوت الله فيصلي الجميع لله ويدعوا لاستحقاق النبل . والإنجليز — حتى أساتذتهم في الجامعات الإنجليزية — حريصون كل الحرص على الظهور في زيهم الخاص في مختلف المناسبات الرسمية : في محاضراتهم وحفلاتهم ومناظراتهم وما أشبهها . وتلعب المناظرات عندهم دوراً كبيراً في توثيق الصلة بين الكليات والجامعات المختلفة ، وفي تعزيز غرائز المنافسة والتصابر في الشباب ؛ فلكل كلية فريق ، ومن فرق الكليات يتألف الفريق المختار الذي يمثل الجامعة في مناظراتها مع الجامعات الأخرى . والأمر كذلك في مختلف الألعاب . وهم يتبادلون الزيارات لهذه الأغراض ، ويذهب مع كل فريق مجموعة كبيرة من الطلاب يشجعونه ويشدون أزره ؛ وتكون هذه الزيارات في العادة فرصاً تتسع للسمر والفكاهة ، ولكنها تبث في الطلاب الإنجليز كل طرفة مستملحة ، ونكتة مستطرفة ، وقد خلقوا لجامعاتهم من هذه الناحية تقاليد يتوارثونها جيلا بعد جيل .

ومن تقاليدهم الصالحة أسبوع يحتفلون به أثناء العام — وهو أسبوع الذكرى لتأسيس الكلية — يتفننون فيه في ضروب الفاكهة واللذة البريئة ؛ فمن حفلاتهم فيه دعوة عظيم من العظماء لإلقاء محاضرة في أحد الأمسية ، تحضرها أسرة الكلية وأصدقاؤها — بالملابس السهرة — ويعقبها حفل سمر ؛ ومنها يوم المناظرة ضد جامعة أو منتخب من فرق الجامعات الأخرى ؛ ومنها حفلة سمر

خاصة يقيمها اتحاد الطلاب ، وأخرى أنيقة يقيمها اتحاد الطالبات ؛ وهاتان الهيئتان وافتا النشاط أثناء العام ، وعليهما تقوم معظم النواحي النشاطية في الكلية ؛ وأعضاؤهما من الطلبة ، ينتخبهم الطلبة ، ورياسة كل منهما شرف يتطلع إليه ذوو المقدرة والاستعداد ، حتى من الطلبة الأجانب ! وكثير من زعماء انجلترا في الأيام الحاضرة كانوا رؤساء اتحاد في جامعاتهم أيام الدرس والطلب .

* * *

هذه النواحي المتعددة من النشاط ذات أثر كبير في بناء الخلق عند الطالب الجامعي ، وفي تكييف سلوكه بصورة ترضاها البيئة والاجتماع . على أن لها فوق ذلك أثراً سيكلوجيا مهما : ذلك هو التخفيف مما يساور الطالب في تلك المرحلة من حياته من قلق واضطراب . وقد كشف علم النفس الحديث من متاعب هذا الذي [illegible] يتغلب على نفس الشاب حينئذ من شكوك [illegible] وآلام . ولقد أعرف من بين طلابنا عدداً [illegible] هواجس نفوسهم ، وما يشعرون من مخاوف وأوهام ومتاعب داخلية . فالشاب في هذه المرحلة من عمره يجتاز دور البلوغ إلى الرجولة ، ويمر بأزمات وجدانية وعاطفية ، وذهنية واقتصادية ، وهو أحوج ما يكون إلى جو حر نشيط ينفس فيه عن رغباته ، ويسمو فيه بنوازعه ، وينصرف به من الجو الرتيب إلى أنواع من النشاط الحر ، كالاشتراك في حفلات الموسيقى والفنون والرحلات والمناظرات ، وكالاندماج في سلك الجمعيات الإصلاحية والتعاونية وما إليها .

إن جامعتنا قد خطت في بعض هذه النواحي خطوات موفقة ، وقد نشطت الجمعيات في كلياتها نشاطاً كبيراً ، ولكن مجال التكميل لا يزال فيه متسع . وأهم نقص يلحظه الباحث في نواحي النشاط الجامعي عندنا هو قيام إدارات الكليات وهيئات التدريس بالنصيب الأكبر في تنظيمها ؛ ويظهر أن هذه نتيجة لأمر ما بين ظروف سياسية في السنوات الأخيرة ، فمعظم اللجان يرأسها فريق من هيئة التدريس ، وأعضاء الاتحاد يصلون الآن إلى مراكزهم بالتعيين لا بالانتخاب ، وكأنما دعى القائمون بالأمر في هذه الشئون إلى الأوضاع الجامعية الديمقراطية قيل لهم إن الطلبة يسيئون استعمال الحرية ، وإن سياسة الأحزاب تتدخل حتى في الانتخابات الداخلية لاتحاد الجامعة ، وإن نتائج هذه الانتخابات ينظر إليها في دوائر السياسة الحزبية كما ينظر إلى انتخابات نقابة المحامين مثلاً . ويخيل إلي أن مخاوف أولى الأمر من هذه الناحية مبالغ فيها ؛ وهذا على أدليه على تجربة شخصية ؛ فقد دعوت الطلاب [illegible] لأحد الأقسام في كلية الآداب ، وتوليت [illegible] عملية الانتخاب في سنتين دراسيتين متتاليتين ، [illegible] الروح الديمقراطي المتزن ، الذي [illegible] وما بينهم من ود خالص لم تكدره [illegible] الانتخاب . ولعل الحل الوسط الذي لجأت إليه كلية الآداب في هذا الموضوع يكون خطوة موفقة في سبيل ديمقراطية الاتحاد ، فقد اشتركت الكلية عميدها وأساتذتها في تنظيم جمعيات النشاط المختلفة فيها ، على أن ينتخب من بين أعضاء هذه الجمعيات — في نهاية العام الحاضر — ممثلو الاتحاد للعام المقبل . وتألفت كذلك في هذه الكلية جماعة للعناية بأبناء الأقطار الشقيقة فيها ، ولتوثيق الصلات الثقافية بين مصر وجاراتها من البلاد العربية .

هذه وغيرها بشائر نهضة نرجو أن تؤتي أكلها قريباً بإذن الله ؛ ونرجو أن تنجح الجامعة في أداء رسالتها على النهج الذي صوره — منذ أيام — سعادة مديرها في خطابه الداخلي بكلية العلوم .

محمد خلف الله

# العفة الجنسية

بحث طبي ننقله في إيجاز عن الإنجليزية

للدكتور جورجي ميخائيل

يحدثنا ثقة كبير في أمراض الجهاز التناسلي عن العفة الجنسية ، أي الامساك عن الاتصال الجنسي بما موجزه[1] :

## مشكلة الأمراض الزهرية[2]

إن مسألة العفة الجنسية مسألة خطيرة تهم جميع الأطباء على اختلاف تخصصهم ، لأننا لا نجد عضواً من أعضاء الجسم في المصابين بالزهري قد سلم من فتك هذا المرض . وعلى الرغم من ذلك فقد أهملت هذه المسألة الخطيرة إهمالاً تاماً .

راجع كتب الأمراض الزهرية والكتب تجدها مستفيضة في مضار الاتصال الجنسي غير الشرعي وعواقبه الوخيمة . ولكن حيرني كم قليلاً نجد في هذه المصنفات عن العفة عن هذا الاتصال . بحثت هذا الموضوع منذ مدة سنين خلت ، وراجعت أغلب الكتب التي وضعت باللغة الإنجليزية في علم وظائف الأعضاء . ولم أستطع في الواقع أن أتبين بحثاً عما إذا كانت العفة الجنسية هي من النظام العادي لوظائف الأعضاء أو لا . فكان ذلك نقصاً بيناً في هذه المصنفات . وكان له أثره في الطب الوقائي . فقد غاب عن كثيرين من الأطباء في ذلك العصر أن العفة الجنسية هي من النظام العادي لوظائف الأعضاء ، وأهملوا نصح مرضاهم بالعفة عن الاتصال الجنسي غير الشرعي للوقاية من الأمراض الزهرية . فأدى ذلك إلى انتشار هذه الأمراض . وقد دلت أسرة الأطباء على هذا الإهمال ، وذكرت عدة حالات تؤيد قاعدة وضعتها تقول : « إن الاتصال الجنسي غير الشرعي يساوي مرضاً زهرياً » .

تقدم الطب بعد ذلك العصر وخطا خطوات واسعة ، فكشف « تفاعل واسرمان »[1] في مرض الزهري ، و « اختبار التثبيت التكميلي »[2] في مرض السيلان ، وأثبتت صحة ما قدرناه من قبل في خطورة الأمراض الزهرية ، فضلاً عن أنهما أكدا ما يترتب على كل من مرضي الزهري والسيلان من عواقب وخيمة ، وأوضحا العلاقة القائمة بين هذين الدائين وبين كثير من أمراض الجسم الخطيرة المستعصية العلاج . ونشرت الصحافة ما للاتصال الجنسي غير الشرعي من مضار ، فتطورت فتياتنا في هذا الموضوع ، وأصبح نشر الثقافة الجنسية قانوناً مرعياً في هذا العصر . ولم تسمح آنساتنا بعد بأن يحملن من يتزوجن حقلاً لاستنبات « المكور السيلاني واللولبية الزهرية[3] » ، ورفضن أن يحرمن من نعمة الأمومة وملذاتها ، أو أن ينجبن أطفالاً مشوهين أو ضعافاً سقاماً بسبب فتك الزهري الوراثي بهم . ومن عليهن أن يعرضن أنفسهن للعقم ، أو لأن يعشن عيشة

(١) كتاب « اضطرابات النظم الجنسية » ، الباب السادس عشر ، لمؤلفه الدكتور ماكس هونر الحجة في أمراض الجهاز التناسلي البولي في مدينة « نيويورك » ، وطبع في سنة ١٩٣٧ .
Sexual Disorders, by Max Huhner, M. D. New York City, U. S. A. Chapter XVI on Continence. Published 1937.

(٢) المكورة والأمراض الزهرية ، هما مرض الزهري والسيلان

(١) Wassermann Reaction.

(٢) Complement Fixation Test.

(٣) Gonococcus and Spirochaeta Pallida.

كأنها تباهت في علياء أن يخرق السور من « آنسة » إلى « حرم ».

وفي العصر الذي تدور فيه عجلة التحرر في الشئون الجنسية شعر الناس أيضاً بوطأة عامل آخر وهو العامل الاجتماعي الاقتصادي. ولم يكن هذا العامل جديداً. وإنما شعر الناس بوطأته اليوم أكثر مما شعروا به في أي زمن مضى. وإننا نسلم بأن بحث الأسباب المباشرة لهذا العامل ليس من اختصاص بحثنا، ولكنه من اختصاص الشئون الاجتماعية الاقتصادية. غير أن النتائج التي ترتبت على هذا العامل تواجهنا وتحيط بنا، وتتطلب منا أن نبذل الجهود في مسألة الثقافة الجنسية وإعلاء قدرها أكثر من قبل، ولاسيما أن تكاليف الحياة قد فاقت في هذا العصر تكاليفها في جميع العصور السالفة، وأرهقت الشاب وأعجزته من أن يشرع في الزواج المبكر كما كان يفعل منذ خمسين سنة أو مائة. فإذا قنع الشاب بأن يبني [illegible] وأن يعمل على تربية ما رزقه الله [illegible] وجب عليه أن يؤجل الشروع في الزواج حتى يحوز دخلاً كبيراً أدخل حسبه حينما شرع في الزواج، أو يتفوق على الأقل دخل أبيه في ذلك الحين.

والنتيجة أن المسألة في العصر الحاضر تنحصر في ثلاثة عوامل:

أولاً: أن الاتصال الجنسي غير الشرعي مصدر العدوى بالأمراض الزهرية.

ثانياً: أن الفتاة المصرية ترفض أن تتزوج شاباً مصاباً بمرض زهري.

ثالثاً: أن الشئون الاجتماعية الاقتصادية تمنع الزواج المبكر.

ويبقى أننا — نحن الأطباء — لا نستطيع أن نغير شيئاً من العامل الثالث، لأنه ليس في استطاعتنا أن نخفض شيئاً من تكاليف الحياة أو أن نرفع الأجور، كما أننا أيضاً لا نستطيع أن نغير شيئاً من العامل الثاني، لأننا لا نرضى أن نقول للفتاة المصرية: « إنه يجب عليك أن تتزوجي شاباً مصاباً بمرض وبيل ». وإذا تقرر ذلك لا يمكننا أن نعالج إلا العامل الأول. وهنا تواجهنا المشكلة التالية. إن الشاب لا يتيسر له أن يتزوج حالما تنضج أعضاؤه التناسلية. وإذا باشر اتصالاً جنسياً غير شرعي يصاب بمرض زهري. وإذا أصيب بمرض زهري ولم يبرأ منه لا يستطيع أن يتزوج. فكيف إذاً نستطيع حل هذا الإشكال؟

قبل أن ندخل في الموضوع أريد أن ألفت النظر إلى أني سأحاول بحث هذه المسألة من الوجهة الطبية لا من الوجهة الاقتصادية، وأن أعالجها على ضوء ما وصلت إليه اليوم معارفنا الطبية في الأمراض الزهرية.

[illegible] في المستقبل القريب أو البعيد أن يهتدي [illegible] الناس ضد العدوى من السيلان أو الزهري، [illegible] تعميم الاستعداد [illegible]، أو القضاء على الأمراض الزهرية وتطهير المرضى منها بعد الإصابة مباشرة. وإلى أن يأتي هذا العصر يتعين علينا أن نعالج المسألة من وجهة أخرى.

إن أول حل يتبادر إلى الذهن في هذه المسألة هو أن نمنع انتشار الأمراض الزهرية. وإن لم يتيسر ذلك فنقضي على المرض ونبرئ المريض منه بأسرع ما يستطاع، على أن يكون إبراؤه منه إبراء تاماً ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

أما منع انتشار الأمراض الزهرية فموضوع يشمل إنشاء البناء بأكمله. وهذا موضوع شائك الأطراف ومعقد كل التعقيد. وكتبت فيه مصنفات عدة. وفي الواقع أن أبحاثاً متعددة كثيرة قد جاهدت كثيراً في هذه

السبيل منذ العصور الأولى السابقة لتاريخ الحروب ، ولكنها كلها فشلت وأخفقت . هنا نصرف النظر عن بحث أسباب الفشل . فقد فرضت لهذا المرض الغرامة الفادحة وعقوبة السجن أيضاً ، وفي بعض الأحيان عقوبة الإعدام ، ولكن في غير جدوى . ولما شرعت مدينة « نيويورك » تستأصل منازل البغاء فيها وجهت إلى ذلك ما استطاعت من جهود لم تنل إلا فائدة وقتية . وكانت النتيجة أن البغايا كن يطردن من ناحية ليلجأن إلى ناحية أخرى ، ولم يتيسر القضاء على البغاء قضاء تاماً دائماً .

انصرفت جهود الأطباء في منع انتشار الأمراض الزهرية إلى علاج المريض نفسه بعد تعرضه للعدوى مباشرة ، وقد أدت الطريقة المتبعة في الجيش والبحرية في الولايات المتحدة للوقاية من الأمراض الزهرية نتائج باهرة لا شك فيها . ولكن هذه [illegible] فنجد أولاً أن النظام الصارم الذي [illegible] والبحارة يستحيل فرضه على عامة الشعب . وثانياً أن هذا النظام لا يمنع خطر العدوى عن كل الذين يتعرضون له . بل يخفض فقط عدد الذين يأخذون العدوى منهم . وفي عبارة أخرى إذا فرض ألف بحار أنفسهم لخطر العدوى واتبعوا النظام المتبع في الجيش والبحرية للوقاية منه ، وتعرض عدد مثلهم لنفس الخطر ولم يتبعوا هذا النظام ، فإن الفريق الأول لا يسلم كله من العدوى ، وإنما يسلم منه عدد يفوق عدد الذين يسلمون منها من الفريق الثاني . ولذلك لا يستطيع أحد من أشد المتحمسين لهذا النظام أن يضمن السلامة لشخص معين يزود نفسه بمقادير معلومة من التي تصرف للجنود والبحارة ، ويعرض نفسه لخطر العدوى ويتبع ذلك النظام . إذاً ما هو حظ الذي يتصل اتصالاً جنسياً غير شرعي ؟

إن هذا السؤال لا يحتاج إلى جواب . فإذا اتصل شخص اتصالاً جنسياً مع بغي فلا يندهش إذا وجد أنها قد نقلت إليه المرض . لأنه لا ضمان من العدوى في دور البغايا ، حتى التي يشرف عليها طبيب خاص ، ولا سيما عدوى السيلان للأسباب التالية :

أولاً : من السهل أن تغسل المرأة موضعياً قبل الفحص الطبي ، وبذلك تخدع الطبيب .

ثانياً : قد تصاب المرأة بالسيلان بين زيارة الطبيب والزيارة التالية أو أن تظهر عليها علامات المرض الأولى بين الزيارتين .

ثالثاً : أن حالات السيلان المزمنة — التي تدعى حالات شفيت من المرض — هي أكبر مصدر للعدوى [illegible] وتفسير ذلك :

[illegible] تصاب امرأة بالسيلان ومع ذلك يحتمل كثيراً [illegible] التناسلية أي أثر للصديد أو أي [illegible] طريقة كشط غشاء هذه الأعضاء ، ولا يظهر فيها « المكور السيلاني » بعد الفحص المباشر بالمجهر ، وحتى بعد عملية الاستنبات ، ومع ذلك نجد أن هذه المرأة — عند الاتصال الجنسي وتحت تأثيره — قد تفيض الآلاف الألوف من « المكور السيلاني » مع إفراز الغدد حيث تختبئ هناك ، فتنقل المرأة العدوى إلى شريكها . ولذا نجد أن كل من عني عناية خاصة بملاحظة هذا المصدر من مصادر العدوى يتفق معي على أنه إذا أصيبت امرأة مرة بالسيلان فليس لدينا في الواقع أية وسيلة من وسائل الفحص الطبي تساعدنا على أن نقطع بأنها قد شفيت أو لم تشف .

ننظر الآن في مسألة خادمات المنازل وخادمات النزل وغيرهن من الداعرات « أشباه المستورات » . فنجد أن كل من له خبرة واسعة في الأمراض الزهرية يقرر أنه من

الفكاهة المعروفة أن أغلب العابثين قد أخذوا العدوى من أولئك الدعوات «أشياء مضمونة». ومن طريف ألا أجيب أحداً من مرضاى الذين يؤكدون بأنهم لم يتصلوا إلا بشىء مضمون، إلا بجواب واحد وهو: «إن التى تسلم نفسها لك تسلم نفسها أيضاً لغيرك. ولذلك لا تسلم من خطرها».

وأخيراً أنظر فى مسألة السيدات المتزوجات، ولاسيما الدعوات «محترمات». باشرت علاج حالات كثيرة من هذه الطبقة كان لها وقع كبير عندى. فقد كنت أباشر علاج سيدتين كانتا بلا نزاع من الطبقة المحترمة وفوق كل شبهة، ومع ذلك كانتا مصابتين بالسيلان. وقد أخذت كل منهما المرض من زوجها. وكان الزوجان أيضاً تحت رعايتى. هنا أريد أن ألفت النظر إلى النقطة التالية: هب رجلا أجنبياً أمكنه أن يغرى إحدى هاتين السيدتين إلى أن اتصل بها. فيمكنه أن يقسم بأنها كانت امرأة محترمة، كما يقطع أيضاً بأنها قد أصابته بمرض السيلان. إذاً يتعين على من يحاول الاتصال بامرأة متزوجة أن يتأكد أولاً من سلامة زوجها وصحته، ولكن هذا عسير وغير مستطاع. هذا وإن مجرد تسليم هذه المرأة له دليل على أنها ليست امرأة محترمة، وينطبق عليها ما قيل من الطبقة الأخرى المعبرة «أشياء مضمونة».

وعلى ضوء هذا البحث نستطيع أن نقرر أن الأطباء، وهم الذين يستطيعون أن يحصلوا بالمرض على كل ما يحتاجون — هم أيضاً يعانون آلام الأمراض الزهرية كغيرهم على السواء. وإذا حللنا المسألة من جميع نواحيها أمكن أن نجملها فى القاعدة التالية وهى «إن الاتصال الجنسى غير الشرعى يساوى مرضاً زهرياً ...».

وأسجل هنا أننا لم نهتد بعد إلى أية وسيلة تقى الإنسان خطر العدوى من الأمراض الزهرية وتضمن له السلامة، حتى إذا استعمل شيئاً من معاطف؛ فقد شاهدت فى حالات كثيرة أن شيئاً كهذا قد تمزق وأصيب صاحبه بسيلان. وفى حالات أخرى أن الشخص قد أصيب بقروح فوق مستوى ذلك الشىء.

أما علاج هذه الأمراض فإنه — على الرغم من تقدمه فى السنين الأخيرة — لم يصل إلى الآن إلى القضاء على هذه الأمراض بعد الإصابة مباشرة أو إبراء المريض منها فى أقصى سرعة. فقد أخفق مشروع القضاء على مرض الزهرى بعد الإصابة مباشرة باستعمال مركبات «السلفرسان» ولم يتيسر لنا إبراء المصابين بهذا المرض فى مدة أقصر من ذى قبل، على الرغم مما لهذه المركبات من فوائد طبية. ولذلك لا تجد طبيباً ذا ضمير حى يسمح لمريض بأن يتزوج قبل أن يمضى بضع سنين تحت الملاحظة. وفى الواقع أننا — بعد ممارسة «تفاعل واسرمان» — نمد هذه الملاحظة فى كثير من الحالات إلى مدة أطول بكثير من ذى قبل. هذا وإن طريقة القضاء على السيلان بعد الإصابة مباشرة لم تفلح إلا فى حالات قليلة جداً، ولا تفيد هذه الطريقة إلا المصابين الذين يتقدمون إلى العلاج فى مدة لا تتجاوز أربعاً وعشرين ساعة أو ستاً وثلاثين ساعة على الأكثر. ونرى أيضاً أن ممارسة «اختبار التثبيت التكميلى» وطرق الاستقصاءات الحديثة فى تشخيص مرض السيلان قد أدت إلى حجز المريض تحت الملاحظة مدة أطول بكثير من ذى قبل.

وأنت ترى أن الطب — على الرغم من تقدمه — لم يحقق الوقاية من الأمراض الزهرية أو القضاء عليها بعد الإصابة مباشرة أو علاجها فى أقصى سرعة، ولم يساعد على حل المشكلة «موضوع البحث» بل بعكس ذلك نرى أن تقدم الطب كله لم يردنا إلا تأكيداً بأن أدق طرق الفحص المعروفة فى تحقيق الشفاء من هذه الأمراض لم تف بالغرض المقصود منها تماماً.

(له بقية)

موريس ميخايل

# هل لدينا سياسة نســـــلية عامة ؟

كثيرون سيجيبون على هذا السؤال بالنفى ، ولكن الذين سيجهلون لماذا أقل من القليل ، وهم بعض أفراد الطبقة المثقفة ثقافة اجتماعية عالية ، ذلك لأنه وقر فى أذهان معظم الناس أن الغرض من وضع سياسة عامة للنسل فى مصر هو الرغبة فى منع التناسل كلية ، ومحاربة الطبيعة ، والقضاء على الجنس البشرى المسخر لنشر العمران . وبعبارة أوضح : الوقوف فى وجه إرادة الخالق القهار ! ! ويتجاوز هؤلاء الجهلاء من هذا الفريق إلى حد اتهام الداعين إلى تلك الفكرة الاجتماعية الحديثة الرشيقة ، وخيانة الوطن ، والإغراق فى التشاؤم الذى يورث أصحابه الشكر ، وزعزعة كيان الشعب ! والحق إنها كلها اتهامات باطلة ، ودعاوى مردودة ، كسيحة ، متخاذلة ، قصيرة النظر .

فالمقصود حقيقة من وضع سياسة عامة للنسل فى مصر هو رسم سياسة صالحة للسكان حتى لا يبدو الأمر فوضى فى يد رجل الشارع المحدود الثقافة ، الذى قلما يتحسس موضع قدميه فى طريق الحياة الشاق ، الملىء بالمجهول . ثم إن خطر تلك الفوضى النسلية لا يقتصر عليه وحده بل يتعداه إلى كيان الأمة بأسرها . وهل الأمة إلا مجموعة أفراد ؟ فمشكلة النسل متصلة اتصال رحم ، أو نسب ، أو دم بالاقتصاد القومى ، وسياسة السكان ، ومعنوية الشعب ، وتماسك العائلى ، ومستوياته الأخلاقية .

لقد عشنا حقبة تنامل فيها شعباً كالشعب المصرى لا تساهم فيه الطبقات القوية المنتجة فى تكوين نسل صالح شهى الثمرات ، وتساهم فيه بالزواج والأنسال المجرمين إجراماً خطيراً ، والمعتوهين عرضاً وراثياً ، والمدمنين على الخمور إدماناً غريباً ، والمتوحشين ، وضعاف العقول ، والمرضى بأمراض معدية مستعصية مستفحلة .

ويجب أن لا ننسى أن ثروة هذا الشعب ، وأساسها الملكية العقارية الزراعية ، لا تزداد بنسبة نموه المطرد .

وكان من نتائج هذه الفوضى الاجتماعية ما يأتى :

(١) أحجمت عن الزواج والتناسل الطبقات المثقفة ، القوية ، المنتجة ، الراقية . وزاد تبعاً لذلك نسل الطبقات الجاهلة ، الضعيفة ، القليلة الانتاج ، الاتكالية ، التى تلقى عبئها على المجتمع . ومن الغريب أن نسل هذه الفئة كالنمل كثرة وتفاهة ، أعنى لا يكاد يعرف كيف يحتفظ بحياته ، فضلاً عن التكسب والكفاح .

وقد تمخض ذلك عن زيادة فى عدد السكان لا مثيل لها فى الشعوب الأخرى ، رغم ارتفاع نسبة الوفيات كما يتبين من الأرقام التالية :

| الدولة | نسبة المواليد | نسبة الوفيات | نسبة الزيادة |
|---|---|---|---|
| [illegible] | [illegible] | ١٠٫٨ ٪ | ٧٫٥ ٪ |
| فرنسا | [illegible] | ١٥٫١ ٪ | ١ ٪ |
| أمريكا | ١٥٫٣ ٪ | ١٢ ٪ | ٣٫٣ ٪ |
| مصر | ٤٠٫٥ ٪ | ٢٦٫٨ ٪ | ١٣٫٨ ٪ |

(٢) دل الاحصاء على أن عدد أفراد الأسرة المصرية يتراوح بين ١ و ٢٤ شخصاً . وهو أمر يستوقف النظر حقاً . ولنذكر الأرقام التالية على سبيل التوضيح :

| أسر من ٥ أشخاص | أسر من ٦ | أسر من ٧ |
|---|---|---|
| ٣٢٣٠٠٠ | ٢٧٠٠٠٠ | ١٩٨٠٠٠ |

| أسر بين ١١ و ١٦ | أسر بين ١٧ و ٢٤ |
|---|---|
| ٣٩٠٠٠٠ | ٣٦٠٠٠ |

(٣) إن نمو الثروة القومية لا يتناسب مطلقاً مع نمو السكان . فقد زادت الأراضى المزروعة (وهى عماد الثروة المصرية كما قلنا) فى القرن الحالى بنسبة ٥ ٪ فقط بينما زاد السكان بنسبة ٣٨ ٪ . وقد أدى ذلك إلى هبوط

متوسط نصيب كل مصري من أرض بلاده الصالحة للزراعة من ٢١ قيراطاً إلى أقل من عشرة قراريط.

ومتوسط دخل الفرد قد أصابه بالطبع ما أصاب متوسط الملكية، إذ تناقص بالتدريج في السنوات ١٩٢١، ١٩٣٥، ١٩٣٧ على النحو الآتي بالترتيب: ٢١ جنيهاً، ١٢، وأقل من ١٠ جنيهات.

وهذه الأنصبة التي نذكرها هي وهم وفرض لا حقيقة ولا واقع، لأنها متوسط ما يصيب كل مصري من أرض بلاده ودخلها الأهلي لو وزعا بالتساوي. إذ لو كانت حقيقة وواقعاً لارتفعت حياة الملايين من مواطنينا المساكين عن مستوى البهائم. وها هي الإحصاءات تؤكد ذلك، فإنها تذكر أن ٠٠٠ر٠٠٠ر[illegible] نسمة، بين رجل وامرأة وطفل، لا يستغلون شيئاً، ولا يعولون أنفسهم. وهناك ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ شخص يزاولون العمل الزراعي، ويلتصقون بأراضي كبار الملاك [illegible].

وبهذه المناسبة نذكر أن رابطة الإصلاح الاجتماعي كانت عقدت مؤتمراً في العام الماضي، وخصصت يوماً منه لإصلاح الأسرة جاء في قراراته: «إن حالة الدخل في معظم الأسرات المصرية يؤدي إلى ضعف القدرة الاستهلاكية، ويعوق نشاط الأمة الإنتاجي، ويساعد على انتشار المرض، وكثرة الجرائم، واضطراب حبل الأمن، والثورات الاجتماعية، ويهدد نظم الدولة. وإن أسباب هذا العامل يرجع أهمها إلى نمو عدد السكان نمواً مطرداً بدون أن تصاحبه زيادة متناسبة في موارد الثروة ....» الخ

وليس من المنتظر أن تتقدم نهضتنا الصناعية والتجارية بخطوات أوسع وأسرع مما قطعت إلى اليوم، بحيث تسد ذلك الفراغ الهائل المخيف الموجود في بنائنا الاقتصادي. ويؤكد من لا يجهلون الأمور أن مصر أمة زراعية، وستظل مصادرها الثابتة زراعية إلى الأبد، أو إلى مدى أبعد من حياة جيلنا وبضعة أجيال قادمة على الأقل.

وعلى ذلك تكون هذه الملايين من العاطلين والفقراء، والمحرومين من مباهج الحياة وفرصها الكثيرة.. هذه الملايين من الأبرياء هي جناية الحكومة التي كان يجب عليها أن ترشد الشعب إلى الخطر الاجتماعي الذي يهدد مستقبله، إذا استمر في إغراق السوق الاجتماعية ببضاعته الكاسدة! وهي أيضاً جناية الآباء العاجزين عن الإنفاق على أنفسهم، ومع ذلك أخرجوا إلى الوجود آلاف الأولاد الأبرياء الذين يطاردون الناس في الطرقات والأمكنة العامة كالذباب، ويطالبونهم بنصيبهم في الحياة!! والويل للناس إذا لم يسلموهم هذا الحق الموهوم! فهناك التشرد، واضطراب حبل الأمن، والمبادئ الهدامة، والأمراض الفتاكة. ومن عجب أن كثيراً من الناس يدركون هذا الخطر، [illegible] بخرافات موروثة، أو معتمدين على [illegible] فدائماً في مثل هذا البحث بنواميس الطبيعة والعمران، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة!

ولقد صارت الحياة اليوم أكثر تكاليف مما كانت قبل الحرب الماضية، كما أصبحت أقل غنماً، وأثقل غرماً.

وإذا قيل بحاجة الأمة إلى النسل الكثير في تجييش الجيوش، والدفاع عن أرض الوطن المفدى، فليكن في حسابنا قبل كل شيء، أن الجيوش القوية الظافرة لا تؤلف من جياع لا يأكلون، وسقام لا يصحون، وعجزة لا ينفرون إلى الحرب خفافاً أو ثقالاً. بل وما أغنى الوطن عن شبان مثقلين بالهموم والنوائب، مبهظين بالتكاليف.

(٤) ومن أهم أخطار الفوضى النسلية أيضاً كثرة المرضى بالوراثة، والمستعدين للجنون بالوراثة، والمعتوهين، والمصروعين، وضعاف العقول، والمجانين الذين صاروا

كذلك بالوراثة ، وما حياتهم فى الواقع إلا امتداد لحياة آبائهم ، ولسان حالهم يقول :

«هذا ما جناه أبى على وما جنيت على أحد».

ومن المضحك المبكى أن حكومات مصرية متعددة اهتمت اهتماماً زائداً عن الحد بتحسين نسل الكلاب والخيل والجاموس فى الوقت الذى لا يعطون أقل عناية للإنسان الذى هو أهم من الحيوان والعجماوات ، والذى يتوقف على نوع نسله مصير البلاد ، ومصير الحضارة ، ومصير العمران ! فيا لسخرية الأقدار ، ويا لمرارة التناقضات !.

وعلاجاً لهذه الفوضى المتعددة الوجوه فعلت الدول الأوربية الأمور التالية :

(١) ميزت المتزوجين وذوى الأولاد فى المرتبات والعلاوات والترقيات ، وخففت كثيراً من أعبائهم ، حتى يتمكنوا من تنشئة جيل سليم قادر على النضال.

(٢) فى بعض البلاد لا يسمح لشخص بالزواج إلا [illegible] إذا كان قادراً على الإنفاق على أسرته.

(٣) أنشئت جمعيات إنسانية لإعطاء النصائح اللازمة بتنظيم النسل إلى النساء الفقيرات . وفى أمريكا وانجلترا عيادات معترف بها رسمياً تدعى «Clinics Birth Control» أى « عيادات تنظيم النسل » .

(٤) أظهرت الحكومات الأفراد على أضرار الأمراض المعدية ، وتأثيرها الذريع فى النسل . وسخرت فى ذلك كل الوسائل الحديثة والصريحة .

(٥) وأصدرت التشريعات الخاصة بتعقيم المجرمين الخطرين والمجانين والمصروعين وضعاف العقول ومن إليهم . وأشهر هذه التشريعات ما صدر فى ألمانيا سنة ١٩٣٣ ، وفى النرويج سنة ١٩٣٤ ، وفى فنلندا سنة ١٩٣٥ .

وهى كلها إجراآت اقتضتها العاطفة الإنسانية فى أروع صورها ، وأرحم وسائلها ، وأجدى أساليبها ، كما استلزمها الرقى الاجتماعى ، وحتمها العمران الحديث .

والدولة بعملها هذا قد تقدم مصلحة المجتمع على مصلحة الفرد أحياناً . على أنه مما يؤسف له كل الأسف أن الحكومات لا تتدخل إلا بعد أن تشيخ شعوبها ، ويدب الانحلال فى أوصالها ! .

والآن ها أنذا أسائل نفسى أظفر بجواب : ألا يخلق بمصر أن تنتبه إلى هذه الفوضى المؤسفة التى تعبث بكيانها وتلعب بمصيرها ، فتأخذ من الدول الأخرى ما يلائمها ويصلحها ، أم ستترك أمرها — كأنها دائماً — نهباً مقسماً بين الفوضى والرجعية ؟.

ولكن حذار أن يفوت الوقت ، وأغلب الظن أنه فات أو كاد ! .

محمد عبد الرحيم عنبر

---

صاحب امتياز المجلة
ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

**أحمد أمين**

رئيس التحرير المسئول

**محمد عبد الواحد خلاف**

| | قرش | |
| --- | --- | --- |
| الاشتراك لستة أشهر | ٣٠ | فى مصر والسودان |
| | ٢٥ | للطلبة ومعلمى الإلزام |
| | ٤٠ | فى الممالك الداخلة ضمن اتحاد البريد |
| | ٥٠ | فى الممالك الخارجة عن اتحاد البريد |

ثمن العدد ١ مليم

# كلاب ... وناس

قصة مصرية — للأستاذ صلاح الدين ذهني

جلس عبد الصمد على حافة الجدول المنير في رفقة من زملائه عمال ضيعة شوكت باك، وأخذ يرسل بصره إلى السماء كأنما يستكشف في أعماقها شيئاً يعنيه أن يراه، وطال تحديقه دون جدوى، حتى إذا يئس من نيل ما رغبه حط ببصره إلى الأرض، وأخذ يضرب بعصاه سطحها الهش مفتتاً تلك القشرة التي كونها الماء، وقد غاب فكره عن حديث زملائه واستحالت كلماتهم في أذنيه إلى همهمة قد امتزجت مع صوت تدفق الماء الرقيق الناعم.

وكأنما راق له عبثه بذرات التراب، أو [illegible] أن يرقب عند الأرض ما التمسه في السماء بعد [illegible]، وظل بصره عالقاً بما تحدثه عصاه من آثار [illegible]

وجن عليه وهو في جلسته [illegible] الليل في حلكته قد تسرب إلى الفضاء والأرض معاً فشملهما بسكينته وظلامه، وكأنما لم يعن عبد الصمد بما حوله من ظلام تسبح فيه أصوات رفاقه كأنها همهمة أشباح، فظل بصره عالقاً بالأرض رغم أنه لم يعد يرى شيئاً، وظلت عصاه تعبث عبثها بذرات التراب، وإن كان قد بدا في سرعتها ما ينبئ بيد قلقة تصدر في حركتها عن عقل مضطرب.

وبدر من خلال الحشائش الممتدة على حافة الجدول صوت أقدام تطؤها في قسوة وعنف، فانتبه عبد الصمد إلى رفاقه، وشاركهم التفاتهم مستطلعاً بأذنه مصدر الصوت حتى إذا تبين اتجاهه قال مخاطباً رفاقه:

— ترى من القادم؟

واختلط صوته بأصوات رفاقه في أذن هذا القادم، فأجابهم في صوت امتزجت به حشرجة الحشائش القريبة:

— أهذا أنتم، لقد حسبتكم انصرفتم إلى دوركم منذ زمن؛ ولكن ماذا تفعلون هنا، وفي هذا الظلام؟ وأنت يا عبد الصمد لقد مضيت من الضيعة منذ ساعة.

وقال عبد الصمد وقد خرج تماماً من ذهوله:

— نفعل؟ لا شيء طبعاً. أتظن في مقدور إنسان أن يفعل شيئاً بعد عمل يوم في أرض شوكت بك إلا أن يجلس إلى حافة جدول، يرقب السماء طوراً، ويفحص الأرض طوراً آخر، باحثاً عن الراحة، أو يصرف النظر من [illegible] الراحة فيمضي ورفاقه في حديث ينسيه إلى حين ما هو [illegible] من تعب؟

[illegible] رفقة كان سالم خلالها قد اتخذ مجلسه [illegible] إلى جوار رفاقه، وأخذ يبادلهم حديث التحية المعتاد، ثم [illegible] عبد الصمد أن قال كأنما تذكر فجأة ما يدعو للحديث:

— أسمعتم ما قاله الشيطان اليوم؟ سيحضر شوكت بك بعد قضاء أسبوع في العزبة، ويمضي ذلك الأسبوع من الأهوال تعمل فيه العصا!

وقاطعه سالم في بلاهة:

— وتتحكم فيه الكلاب.

وكأنما ذكر ذلك عبد الصمد بشيء مهم فقال:

— على فكرة؟ أسمعتم ما قال الشيطان أمس؟ لقد أخبر عبد العال الجزار أن البك اشترى كلبين جديدين ثمن كل منهما لا يقل عن مائة من الجنيهات، وأن هذين الكلبين سيحلان ضيفين علينا مدة الشتاء، فيصبح أسيادنا خمسة عشر، وقد أوصى عبد العال بزيادة راتب اللحم أثنين.

واستدرك سالم :

— بل ثمانية عشر ، أنسيت الخروسين الثلاثة الذين أخذتهم السكينة الإنجليزية ؟

وأجاب عبد الصمد :

— لم أنس القطيع . ألم يكفنى خروج هؤلاء الثلاثة إلى الحياة زوجة فى ريعان الصبا ؟ ألم أترك زوجتى فى ليلة ولادتها وحيدة فى المنزل لأذهب بعد نصف الليل لإحضار الحكيم البيطرى ؟ وكانت النتيجة أن زوجتى لم تجد أحداً يدعو لها الطبيب أو ينقلها للمستشفى ...

... وعبرت سحابة حزن فى رءوس الجالسين حملت معها ذكريات هذه الليلة الهائلة ... ليلة عاصفة حالكة الظلام من ليالى فبراير ، حين عاد عبد الصمد من عزبة شوكت بك إلى منزله الحقير الكائن عند أطراف العزبة بين مساكن الأجراء الملاصقة القائمة كأنها أطفال صغار تجد فى تلاصقها ما يبث فى نفوسها الطمأنينة .

كان عبد الصمد يعلم أن زوجته اشتد بها الوضع ولكنه لم يكن يدرى أن أوان وضعها قد حل . لذلك مضى إلى فراشها يهون عليها ما تشعر به من ألم ، وكأنما أشفقت الزوجة المسكينة على زوجها واستشعرت ما ينوء به جسده من ضنى وتعب ، فكتمت آلامها ، وتصنعت الراحة ، واجتمع على الزوج خدعة الزوجة الساذجة ووهن القوى ، فراح فى سبات عميق لم يشعر بعده بالآلام المكتومة تحاول الزوجة تصريفها بالتقلب على جنبين يكادان ينقدان من الألم . حتى إذا انتصف الليل فزع عبد الصمد من فراشه على صوت يناديه فى غلظة وعنف :

— ولد يا عبد الصمد . اصح يا ولد !

وإذ تبين عبد الصمد الصوت انكفأ آبياً إلى فراشه ظاناً أنه كابوس ثقيل يحكى صوت الشيطان وجثم على أذنيه ، ولكنه لم يلبث أن سمع الصوت يتكرر ، ولم يلبث أن أحس بما حواليه ، بزوجته التى تتقلب على الفراش ، وبثوبه الخشن ، والصوت الجاف يصل إلى أذنيه واضحاً جلياً .

إذ ذاك أيقن أنه مستيقظ ، وأن ما يسمعه هو صوت الشيطان نفسه يناديه ويطرق النافذة بعصاه ، تلك العصا الضخمة التى طالما عبثت بأبدان الأجراء فى أرض شوكت بك ، وتدخلت فى إحساساتهم فحولت جمودهم نشاطاً وأحزانهم انبساطاً ، والتى طالما نسب إليها الفضل فى زيادة محصول الأرض واطراد النسل بين الماشية والدواجن .

أجل . كانت هى عصا الشيطان الثقيلة التى ترتسم على سطحها الأملس الجامد قصة عشرات الفلاحين منذ [illegible] الطرق إلى اليوم . وكان هذا الشيطان ، ناظر العزبة المجهول الأصل ، والذى نم وجهه عن تلاقح [illegible] أجناس البشر [illegible] وأم أجداده ، [illegible] طائفة من الفلاحين رمت بهم الأقدار فى تلك البقعة من الأرض يلتمسون عندها القوت .

كان اسمه عواد الفرارى ، وكانت شهرته عند الفلاحين (الشيطان) تخيروا له هذا الاسم عفواً ، وكانوا يهمسون به كلما أقبل أو رحل ، وكان فى تخيرهم هذا الاسم تلخيص صادق لإحساساتهم بالقدر الذى تخيله عقولهم الساذجة لابن الشيطان ، وكانوا لا يدرون شيئاً عن ماضى هذا الرجل ، ويحارون فى حاضره فى نفس الوقت . كيف وفقت الأقدار بينه وبين شوكت بك ؟ وكيف وقع لذلك السيد القاسى الطبع والغليظ الخلق هذا الوكيل القاسى الطبع والجاف الخلق ؟ ذلك ما لا يدريه أحد منهم وإن كانوا يؤمنون إيماناً تاماً بأن لا بد لشوكت بك من عواد ولا يخالطهم أمل فى زحزحة هذا الوكيل الشرس ، حتى

الموت ما كانوا ليروه منقذاً لهم إلا إن ألم بالاثنين معاً واختارهما معاً .

قام عبد الصمد من فراشه فزعاً ، وفتح الباب فإذا هو وجهاً لوجه أمام الشيطان يسب ويلعن متهماً إياه بالكسل والبلادة . ومرت فترة قبل أن تنتهي سلسلة الشتائم التي ازدحم بها فم المارد ذي العصا ، ولعلها لم تنته كما يجب إلى اشلح جزءاً منها ليقول في جد واهتمام :

— اسمع يا عبد الصمد . الكلبة الكبيرة الانجليزية ستلد هذه الليلة ، ويبدو أنها تعاني ألماً شديداً ، فعليك أن تذهب الآن إلى البندر لتدعو الحكيم البيطري حالاً ، حالاً . أفهمت ؟ هيا قبل فوات الوقت . . . .

إلى البندر ؟ في هذا الظلام والبرد والريح العاصف ؟ خطرت لعبد الصمد إذ ذاك صورة زوجته حين رآها قبل يومه تقاسي الآلام ، وصورتها حين هب من نومه منذ لحظة وهي تتقلب على الفراش ، وذكر ما سمع من الشيطان وهو يتحدث عن الكلبة التي تعاني آلام الوضع صورة الزوجة التي تعاني نفس الآلام .

أيمكن أن يكون ذلك هذه الليلة أيضاً ؟ أتكون زوجته أيضاً وشيكة الوضع ؟

سرعان ما أخذ هذا الخاطر صورة هائلة مفزعة ، وسرعان ما ارتبطت الخواطر فتخيل ما يطالبه إليه الشيطان وما يمكن أن يحدث : أن يغادر زوجته تعاني آلام الوضع ، وقد تضع في غيابه وتستدعي الأمر نجدة سريعة فلا تجد رثاية من ينجدها ، كل ذلك لكي يذهب هو في أعماق الليل طالباً الطبيب للكلبة . . . .

ولكن الشيطان لم يدع حتى لمجرد الخواطر أن تتدافع في رأسه ، فقد صرخ فيه مستحثاً إياه على المضي إلى البندر ، مستنكراً صمته وذهوله .

وتمتمت شفتا عبد الصمد في غير وعي منه :

— ولكن . ولكن امرأتي ياخواجه مولاد !

ولم يعن هواه بشأن امرأته في الموضوع ، بل قال في غضب :

— امرأتك ؟ إنت عاوز تخرب بيتك بإيدك ، أما الكلب ولايع على السراية ، أنت عرفت وأنا غير مسئول وامرأتك لن تطير .

وتردد هذا السؤال الأخير في رأس عبد الصمد لحظة ، هل ستطير امرأته ؟ إنه لن يستطيع أن يمنع عنها الألم ، فهي ستتألم في وجوده كما تتألم في غيابه ، وهو يستطيع أن يمضي فيدعو الطبيب ويعود به إلى السراي ، ثم ينتقل إلى منزله مسرعاً قبل أن تحين ساعة الوضع . وإنه ليعلم أن الفترة التي تسبق الوضع تطول أحياناً لأكثر من يوم .

ليكن ما يكون إذاً ، وليترك رثاية لرحمة الله ، وليمض إلى ذلك التكليف رفقاً بحياته وحياة رثاية معاً ، فليس له إلى ... الشيطان وإلحاحه وسيده معاً من سبيل .

وهكذا ... ترك عبد الصمد رثاية لرحمة الله ، وكان سبيل هذه الرحمة إليها أن آوتها وجنينها إلى دار تبعد بها عن طغيان الشيطان وجبروت سيده ، فقد أصرت الولادة على رثاية وحارت جاراتها في الأمر ، وساعد الجو القارس البرد والريح العاصف على أن تصاب بحمى النفاس ويهملها العلاج السريع ، فإن عبد الصمد لم يعد إلا بعد أن وضعت الكلبة المدللة في الصباح الباكر ، وبعد أن تمكنت الحمى من الزوجة ، فلم يجد العلاج وذهبت وجنينها حيث تمنى لها عبد الصمد . . . . إلى رحمة الله . . . .

* * *

سرت هذه القصة في خيال الجماعة الجالسين إلى حافة الجدول ، وكأنما ضاقت عما فيها من بشاعة رؤوسهم الظلمة ، فلاحت حافة الجدول وما يحيط بها من هواء غير عنيف تطيف به الأشباح ، وخالطت الرهبة ذرات الهواء ، وبدا

فى حزم ما المجهول أنه يرتل لحناً حزيناً دامياً . كان كل شىء مفزعاً مخيفاً يلوح فيه الحزن وتبدو الكآبة .

وطالت لحظات السكون ، وطال تحليق ذكريات هذه القصة المفجعة فى رؤوس الجماعة ، وكان أشدهم انقباضاً لها عبد الصمد ، حتى إذا خفت بعيداً عنهم فى تباطؤ ، قال سالم كأنما يطارد آخر آثارها من جو المكان :

— لم لا نشكو عواداً إلى شوكت بك . نقول إننا نحبه ولا نود أن نحتمل غيره ، وإن عواداً يرهقنا بالعمل ، إن شوكت ليس معنا دائماً ولا شك أنه يجهل ما نعانيه . ما رأيكم فى كتابة عريضة نطالب بها ؟!

وقاطعه عبد الصمد فى استهزاء :

— عريضة ! نقول فيها إن عواداً يرهقنا بالعمل فتؤدى أحسن شهادة لذلك الشيطان ؟ أتظن أن شوكت بك يهتم بشىء غير زيادة المحصول وكثرة [illegible] وزينة الكلاب . وما دام كل ذلك [illegible] عواد فى نظره أحسن ناظر عرفته [illegible]

ولم يقتنع سالم بهذا الجواب بل [illegible] إرسال عريضة ، وبدا فى حديث رفاقه تحبيذ هذه الفكرة وتأييدها ، كأنما شعروا بحرصون على ألا يضيع من أيديهم .

قال واحد منهم : لا أرى داعياً لأن نشكو عواداً حتى لا يصب علينا نقمته . بل ولا أرى داعياً لكتابة عريضة ، فلنتقدم لشوكت بك يوم وصوله فندعو له بالخير ، ونقبل أقدامه ونرجو منه .

وقال آخر : ومن يجرؤ على مخاطبة هذا السيد المتكبر ؟

وأجاب الأول : إذاً فلنرسل العريضة . نقدمها له مكتوبة بيد محمد . أنت يا سالم تعرف تقرأ وتكتب . غداً بعد العمل تذهب إلى دارك وتكتبها لنا وتحاول فيها أن تكون مؤدباً و . . و . . .

وطال حديث الجماعة فى صيغة ما يكتبون ، وأشفق الليل على أبدانهم المرهقة فأرسل ريحاً أرغمتهم على أن يفضوا سامرهم ويمضوا إلى دورهم يلتمسون عندها الراحة ويحلمون فى مستقبل من العيش خير من حاضرهم ، وقد أسرفت الآمال فى أثر عريضتهم فتخيلوا طوال الليل أحلاماً سعيدة .

* * *

بعد يومين من تلك الأمسية جلس شوكت بك فى شرفة سرايه يقرأ قطعة من الورق سكب فيها عشرات من أجراء ضيعته آمالهم المتواضعة فى الحياة ، وهو يربت فى رفق على عنق كلب ثم نظراته على الصفحة المشرقة .

ولكنه لم يكد يتم القراءة حتى ضحك ضحكاً جافة ، ونظر إلى صديقه الرابض بجواره ثم قال فى تهكم :

— أسمعت يا [illegible] ما يقوله هؤلاء الناس . إنهم [illegible] أن أرفق بهم ، وأعاملهم معاملة الكلاب ، [illegible] أسمعت ؟

[illegible] ك بك أنه فهم من أمنية أجرائه [illegible] معقولة ومستحيلة أيضاً . ما ؟

صلاح الدين ذهني

---

## رجــاء

### إلى حضرات المشتركين

ترجو الثقافة من حضرات الراغبين فى الاشتراك لسنة ١٩٤١ أن يتفضلوا بالاطلاع على شروط الاشتراك التى تنشر على غلاف المجلة .

كما ترجو من حضرات المشتركين فى أعدادها من سنة ١٩٤٠ ولم يسددوا جميع الاشتراك أن يتفضلوا بإرسال ما بقى منه إلى إدارة المجلة فى ميعاد غايته عشرة أيام تبتدئ من يوم صدور هذا العدد .

# البريد الجوى والمدن الصغيرة

كان البريد الجوى إلى الآن مقتصراً على المدن الكبيرة ، حيث يمكن أن تفي الرسوم البريدية الكبيرة التي تحصل من المعونات بنفقات المطارات ومكاتب البريد اللازمة . وذلك لأن هذه المطارات تكون عادة خارج المدن ، والانتقال منها وإليها يتكلف نفقات كثيرة ، كما أن نزول الطائرة إلى الأرض لتسليم أكياس البريد التي معها ، وتحليقها إلى الجو لسفر بعد تسلم أكياس البريد المرسلة من هذه المدن ، هذا النزول والصعود يتكلف كثيراً من النفقات للعمال اللازمين وغيرهم من المهندسين الأرضيين والمهندسين الفنيين الآخر ، والآذنين بالهبوط ، ثم بالسفر ، إلى غير ذلك من ترتيبات تتطلب مصاريف .

لكن اختراعاً بسيطاً طريفاً وصل إليه الأمريكان مكن إحدى شركات الطيران من ... معينة صغيرة في أربع ولايات متجاورة في شرق الولايات المتحدة الأمريكية . ويتلخص هذا الاختراع في إجراء تحوير في تصميم الطيارة وتحويلها وترتيب آخر على الأرض في المدينة الصغيرة ، بحيث أصبح في الإمكان إنزال أكياس البريد المرسلة إلى المدينة ، والتقاط الأكياس المبعوثة منها أثناء طيران الطائرة بسرعة تتراوح بين ٩٠ و ١١٠ أميال في الساعة ، بغير حاجة إلى الهبوط على الأرض ؛ وعلى الرغم من أن جميع التفاصيل الفنية لهذا الاختراع لم تذع بعد إلا أنه يمكن شرح النقط الأساسية فيه :

فأما الطائرات فقد أزيل جميع ما بداخلها من الأدوات المألوفة عدا مقعد الربان ولوازمه ، وذلك لكي تتسع الطائرة لأكبر عدد من أكياس البريد ولجلوس وكيل البريد المسئول ؛ كما وضع في الطائرة جهاز خاص يديره هذا الوكيل ، فيتمكن بذلك من التقاط الأكياس بحبل ربط بآخره خطاف (شكل ١) ، وجهاز آخر يشغله ربان الطائرة



(شكل ١)

الرغم منه تلك الأكياس المراد إنزالها إلى الأرض ، (شكل ٢) .



(شكل ٢)

وأما الأرض فقد وضع عليها جهاز آخر (شكل ٣) يتركب من صاريتين من الصلب طول كل منهما عشرة أمتار والمسافة بينهما ٢٠ متراً ، وفي رأس كل منهما علم زاهي اللون يتنقل . ويمتد بين الصاريتين حبل مستعرض مشدود إلى كل منهما بماسك زنبركي ينفصل بسهولة إذا جذب الحبل فجأة . ويحمل هذا الحبل كيس البريد المعد لأن تلتقطه الطائرة .

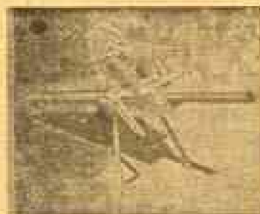
وهذا بيان الخطوات التي يعملها وكيل البريد لتسلم الأكياس والتقاطها في وقت واحد :

يقترب الربان من المحطة ، وقبل الوصول إلى الصاريين ، يفك الكيس المراد تسليمه فيسقط دون أن يشتبك بحبل

(شكل ٣)



يدلي الوكيل باليد الكيس الذي يريد تسليمه ، وهو متصل بالطائرة بحبل يختص بجهاز الفكاك تحت إمرة الربان كما قدمنا . ثم يدلي بحبل آخر الخطاف الملتقط . ويتصل الطرف الأعلى لهذا الحبل بجهاز في الطائرة لتخفيف أثر صدمة الالتقاط (شكل ٤) . وهذا الحبل يتدلى من جسم الطائرة على بعد يبلغ نحو قدمين أمام حبل التسليم . ويمنع الحبلين من التفاف أحدهما حول الآخر أنهما مختلفان في الثقل والمقاومة للهواء ، فيتدليان بقوسين مختلفي الشكل . وعندما



(شكل ٤)

الالتقاط. ثم تمر الطائرة بين الساريين على ارتفاع يتراوح بين خمسة عشر وعشرين متراً، فيرتكز حبل الالتقاط على الحبل المستعرض الذي بين الساريين، وينسحب فوقه تبعاً لسرعة الطائرة إلى أن يشتبك الخطاف الذي في نهايته بالحبل المستعرض، فيفصله عن الساريين ويجذبه معه، وعندئذ يرفع الوكيل الكيس إلى الطائرة كما تراه في (شكل ٥).



(شكل ١٠)

وفي الوقت الذي يشد فيه الخطاف الحبل ينطلق كيس البريد على الحبل مبتدئاً من الخطاف، وهناك جهاز في أعلى الكيس يعمل على تقليل سرعة انطلاقه بالتدريج، حتى يسكن تماماً عند وصوله إلى نهاية الحبل. والواقع أن هذا الجهاز هو الذي يتلقى الجزء الأكبر من صدمة الالتقاط فيخفف من وقعها على الحبل، وما يبقى منها بعد ذلك يتلقاه الجهاز الذي في الطائرة (شكل ٤).

ويقال إن الرجال الذين في الطائرة لا يكادون يشعرون بالتقاط الأكياس. وإذا حدث أن اشتبك الحبل أو الخطاف بشيء على الأرض، فإن هناك «وصلة سلامة» تنفصل حالا فتقطع اتصال الحبل بالطائرة، فتمنع وقوع أي حادثة. وفي الوقت الحاضر قد حدد وزن ما يلتقط من أكياس البريد بعشرين رطلا، ولو أنه أثناء التجارب التمهيدية قد أمكن الالتقاط لغاية ٧٠ رطلا، وسيزداد القدر المسموح به كلما ازداد الوثوق بالجهاز ومتانته واستجابته للعمل.

هذا وقد صنعت أكياس البريد المستعملة في هذه العملية (شكل ٩) على صورة تجعلها تتحرك في الهواء وهي معلقة في الطائرة بأقل مقاومة من جانب الهواء، كما أنها مقواة لتتحمل صدمة السقوط أثناء الحركة بسرعة كبيرة. وهذه الأكياس ذات مقدمة ملساء مستديرة كما يتبين من الشكل، ومصنوعة من القنب ومتصل بها إطار من المطاط يغلف علبة البريد وتراه تحت المقدمة في الشكل.



(شكل ٩)

وبما أن السرعة هي أساس هذا البريد الجوي فمن المناسب أن نذكر هنا أن طائرات الشركة القائمة بهذا العمل تطير ١٥٤٠ ميلا كل يوم، وتلتقط ٧٥ كيساً توزعها على الثلاث والخمسين بلدة في مواعيد منتظمة بسرعة متوسطها ١٠٠ ميل في الساعة، سواء أكان الطقس مناسباً أم غير مناسب. وبما أن البعد بين المحطتين المتتاليتين يتراوح بين خمسة أميال واثنين وعشرين ميلا فلولا هذا السبيل لم يكن ليتم لو أن الطائرات كانت مضطرة إلى الهبوط والصعود في كل محطة.

أحمد مختار صبري

# من شعر الشباب

إيه يا بدر ! لقد طو — فت نفسي بالمنى !
حسنك الباهر قد — أسكر روحي بالسنى
قد أضل النور قلبي — في خيال حائر
وإذا بالقلب يغشو — نحو نور ساحر
هو نور شاقت الأحـ — لام فيه والنغم
ذاب فيه الوهم حتى — كاد يبدو من حلم
هذه الأحلام تزهو — أم تراها تحترق ؟ ! !
هذه الأنغام تزكو — أم تراها تختنق ؟ ! !
إنني أبحث يا بد — ر بهاتيك المنى !
إنها لي ! هي حسبي — من نعيم أو هنا !

***

أنت قد أضللت قلبي — بالأماني [illegible]
ما الذي يهديه ؟ قلبي — في [illegible]
إنني أخشى على الأحـ — لام [illegible]
فيجف الزهر والد — نيا أتون يصطلي
ذاك دمعي يا زهور !! — قلب ، نبع من شجو
سيواليك بقطر — من حنين وحنو
فإذا ما جاءت الشـ — مس لترويك من دمك
شربت دمعي فشاء ؟ — لرحيق في فمك !
لن تحي يا زهور !! — قلب بل أنت الندى !
لن تحي يا زهور !! — قلب بل عاق الشذا ،
هات خمر الدهر يا أز — هار ، أنفاس الربيع
قبل أن تحي مع الصيـ — ف وفي الصيف تشيع

***

جاء في الليل أيا بد — ر من الخلد ملك
جاء يهفو في دلال — بين أجرام الفلك
مس وجه الليل والآ — لى حزين مكتئب
فإذا أنت ضياء !! — يشرق الأفق انسكب !
مسح الأحزان عنه — بجناح طاهر
فسرى الفرح إليه — في الجبين الزاهر
عزه الصمت فغالت الد — مع روحاً ينطلق
وإذا بالدمع نور — شاء أحواز الأفق ! !
يا إلهي ! قد أضاء النو — ر من قلب الدجى !!
ثم أطف الليالي — خير ألوان البكا

***

هذه الأنوار يا بد — ر أهازيج الهوى
وحديث الشعر والسحـ — ر وأوهام الصبا
طلها الليل طروباً — فوق وجنات السما
شربت منها زهور !! — قلب وحياً وهدى

***

إنها [illegible] !! — نور أنغام الحنان !
[illegible] — من أناشيد الجنان !
سكرتها في حنايا القـ — لب وحياً للمكان
فاستقي منها أغاني !! — بل قلب الكروان

***

هذه الأنوار يا بد — ر خيالات الشباب
ثملاً للجو يخطر — من أماني عذاب
والشباب الحلو يا بد — ر خيالات الزمن
الزمان الطفل لا يد — ريه شيب أو وهن !

***

إيه يا هذا الزمن ! — أيها الشيخ الصبي
تتحدى بالشباب الـ — غض كي تبق الفتى ؟ ! !
فيك دوماً منه جيل — يتغنى بالحياه
ثم يذوي بعد حين — فترى جيلا سواه !
إيه يا خالد ، يا جبا — ر يا حرب العدم !

أنت تبقى ؟! نحن نفنى    كزجاج يتحطم ؟!
هكذا يا شيخ ؟! دوماً    في رياض من [illegible] ؟!
نحن أطفالك يا شيـ    ـخ سيقينا الهرم
سوف يمضون عن [illegible]    [illegible] أصوات الجبال
فترى الدنيا هشيماً    قد أعدت للزوال
فترى النفس إذ تجر    ع غايات الضلال !
حكمة الفجر تقضّى !!    حق دوماً بالضلال

مليكة عبد العزيز

---

# العندليب الكئيب

يتغنى بين الطيور كئيباً
عندليب رنت به الأقدار

***

كان هذا يوماً ، على غصن [illegible]
يتساقى كأس الهوى ، والحنان [illegible]
وهو من حادث النوى في أمان [illegible] لا يرى له
كان يلهو في ضروب الأغاني
يتغنى ، بأعذب الألحان
فوقه — في كل وقت — طروبا
ليس يدري ، ما الحزن ، ما الأكدار

***

مطرب ، حوله الزهور النواظر    تتبسم
شاعر ، شعره يكل الخواطر    قد تهيم
يتناجى مع إلفه ، ويسامر    كالنسيم
ربما غشى الهنا ، وربما كر
إذ بدا على الطوى نسير جار
خطف الإلف ، مستبداً ، فطورا
فأراقت دماءه الأظفار

***

هكذا يقتل القوي الضعيفا    لا يبالي
هكذا يفقد الأليف الأليفا    في الليالي
هكذا يعرف الزمان الألوفا    للزوال
إن من كان في الحياة ضعيفاً
عاش بالبؤس ، والشقاء حليفا
قل لمن رام عيشه أن يطيبا
ليس في العيش للضعيف قرار

***

فبقي العندليب يبكي الحبيبا    بانكسار
ويجر الدمع مقلتيه صبيبا    بانحدار
أصبح الوجد في حشاه لهيبا    [illegible] وارِ
[illegible] الزوال دبيباً
حيث أمسى بين الطيور غريبا
[illegible] على الفطورا
غربت عنه تلكم الأطيار

(الكاظمية — بغداد)    علي جليل الوردي

---

إنه في يوم السبت ١٥ يناير سنة ١٩٥٤ الساعة ٨ أفرنكي صباحاً بناحية كفر الشيخ وفي يوم الأربعاء ٢٤ منه بسوق قويسنا إذا لزم الحال سيباع علناً عربات وأشياء محجوزة موضحة بمحضر الحجز ملك محمد موسى [illegible] ومحمود عبد الخالق [illegible] من الناحية وفاء لمبلغ ٢٣ قرش خلاف أجرة النشر نفاذاً للحكم رقم ٣٦٦ / ٣ سنة ١٩٥٤ [illegible] محمود [illegible] شرف الدين [illegible]
فعلى راغب الشراء الحضور .

---

إنه في يوم الاثنين ١٠ يناير سنة ١٩٥٤ من الساعة ٨ أفرنكي صباحاً وما بعدها بناحية الساحة مركز [illegible] وفي يوم الأحد ١٦ منه بسوق [illegible] سيباع علناً بقرة حمراء [illegible] ملك أحمد أحمد عبد الرازق من الساحة وفاء لمبلغ ١ جنيه و ٩٨٠ مليم خلاف رسم الحجز وأجرة النشر وما يستجد تنفيذاً للحكم رقم ١٠٤٩ سنة ١٩٥٣ [illegible]
فعلى راغب الشراء الحضور

# أنباء وآراء

## فى عالم التأليف

### حكايات من الهند

صدر للمكتبة العربية أخيراً كتاب جديد ترجمه الأديب الأستاذ محمد حسن الزيات من الانجليزية هو « حكايات من الهند » للكاتب الهندى ا . س . ب . أيار .

وهذا الكتاب يمثل لوناً من ألوان أدب القصة عرفه الشرق وأجاد فيه كتابه ، هو الحكاية ذات المغزى التى تصطنع فيها « الحادثة » لترسم الحكمة أو تبرز الموعظة .

وكتاب حكايات من الهند مجموعة اختارها الأستاذ الزيات من كتاب لهذا المؤلف اسمه Indian After Dinnerstories ، وقد أجاد الترجمة واختار القصص التى ترجمها ، يشهد بذلك الاطلاع على هذه القصص وكل واحدة منها إلا تشير إلى فكرة سامية أو ترمى بفضيلة ، أو تسخر من رذيلة ، أو تناقش مذهباً أو نظرية فلسفية ؛ فهى بذلك تجمع بين التسلية الخفيفة المحببة ، فيقرأها طالب التسلية على هذا الوجه ، والحكمة السامية الرفيعة ينتفع بها طالبها ويجدها فى غير مشقة ولا عناء ، ولا يمنع ذلك من أن تتسرب الحكمة إلى طالب التسلية فى يسر لا يحس معه بما استفاد إلا من طريق الانعكاس النفسى الخالص ، وأن تتسرب التسلية إلى نفس طالب الحكمة فتيسر عليه مشقة التفكير . وأدب القصة — حين نشأت — لم تكن لها مهمة غير ذلك ، وإنما كان انحرافها من ذلك القصد فى العصر الحديث هو منشأ تلك الثورة التى ثارها عليها أمثال السير هيو والبول فنسبها بأنها استحالت « عملاً علمياً بغيضاً » ووصف شخصياتها بأنهم « أنابيب اختبار تتفاعل فيها نظريات العلم الحديث على صورة مادية بحتة أفقدتها جمالها وجردت بها من مهمتها » .

ويقول الأستاذ الزيات فى المقدمة التى وضعها لهذه المجموعة : « إن هذه « الحكايات » ليست مجرد لهو خفيف يقرأ بعد الطعام ، ولكنها بعيدة المغزى على قرب منالها ، عميقة القاع على هدوء سطحها ، قوية الإيحاء على بساطة مظهرها ... وفيها فوق ذلك خصال أخرى ، منها الرمزية . . . . ومنها العناية بالإيحاء الاجتماعى الطيب من ناحية ، وبالتحليل النفسى من ناحية أخرى ؛ فمن هذه الحكايات ما نستطيع أن نعدها بأنها حكايات إصلاحية ناجحة ، سيجد القارىء المصرى أنها تصلح لمخاطبة مجتمعه » .

وفى هذا التقديم الصادق شرح واف لمزايا هذه القصص ، وإذا أضيف إليها ما توفر للمترجم من مقدرة على الأداء ، وبراعة فى الأسلوب ، ونزاهة فى الترجمة ، استطعنا أن نقول فى غير مبالغة إن الخدمة التى أداها الأستاذ الزيات إلى الأدب ليست فى مجرد زيادة عمل أدبى يضاف إلى المكتبة ، وإنما هى قبل كل شىء خدمة اجتماعية تؤتى ثمرها فى الاصلاح الاجتماعى المنشود .

### المهندس الصغير

هذا هو اسم الكتاب الذى نشرته مطبعة المعارف للأستاذ محمد عاطف البرقوقى أخيراً ، وهو من كتب المعلومات العامة والمعارف العلمية التى يجمل بكل مثقف أن يلم بها .

وقد اقتصر هذا الكتاب على طرق المواصلات ، فتناول فى أسلوب لطيف العبارة تاريخ وسائل المواصلات متتبعاً إياها من نشأة الانسان إلى تطورها الحاضر ، مع إلمامة موجزة بتاريخ كل مخترع ، وشرح مبسط لتركيب كل وسيلة من الوسائل .

وهذا الكتاب ، كما يقول مؤلفه بحق : « إلى الأديب والطبيب ، والمحامي والزارع ، والتاجر والصانع ... فهو كتاب الجميع ... »

### كتب عن الحرب الحاضرة

صدرت حديثاً ثلاثة مؤلفات عن الحرب الحاضرة لثلاثة من الكتاب ، تناول فيها المؤلفون الحرب الحاضرة بوجه عام ، ومحنة فرنسا بوجه خاص .

وأول هذه الكتب لأندريه سيمون وعنوانه « إني أتهم » . هو حملة من الاتهامات لساسة فرنسا ، وقواد حربها ، وهو يبدأ هذه الاتهامات بتوجيه اللوم إلى حكومة الجبهة الشعبية ، لمسئوليتها عن إهمال صناعة الطيران ، وتمكينها الشيوعيين من عرقلة الصناعات اللازمة لوسائل الدفاع ، لاسيما بعد أن وضحت نيات الائتلاف من اتفاقية برلين — موسكو ..

ويؤيد أندريه سيمون اتهاماته [illegible] يبين أثر الحزب الشيوعي في تأخر الصناعات الحربية في فرنسا ، ثم أثر الشيوعيين أخيراً في الهزيمة . ومن الحقائق التي يلفت إليها النظر أن فرقة الدفعية الشيوعية في جيش الجنرال كوراب الحادي عشر ، كانت هي السبب — كما ثبت فعلاً — في نجاح الغزو الألماني لفرنسا .

أما الكتاب الثاني فهو لأندريه موروا ، وعنوانه « مأساة فرنسا » ، وهو يتفق مع الكتاب الأول في اتهام أحزاب الشمال ، ولكنه يحدد أسباب الهزيمة ، ويرى أنها :

أولاً — سوء تعبئة المصانع وتنظيمها إذ أدى ذلك إلى حرمان مصانع الحرب من أحسن العمال الذين يصلحون للصناعات الحربية ، فلم يكن يشتغل بصناعات الحرب غير ٧٠٠٠ عامل من ٣٠٠٠٠ عامل من مهرة صناع الأدوات الحربية .

ثانياً — اعتقاد المهندسين ورجال المال الصناعي بأن حرب سنة ١٩٤٠ ستكون كحرب سنة ١٩١٤ ، وعلى هذا الأساس شرعوا في إعداد المصانع الحربية للعمل ببطء ، حيث كان من المقدر أن تبدأ هذه المصانع عملها قبل عام ١٩٤١ أو عام ١٩٤٢ ، ظناً بأن هذا هو الوقت الذي ستحتاج فرنسا فيه إلى أدوات الحرب حقاً .

ثالثاً — كان القواد الحربيون الفرنسيون قد أعدوا للحرب الثابتة بينما كانت أداة الحرب الألمانية تعتمد على سياسة الحركة السريعة في الحرب ، وعلى هذا الأساس أعدت القيادة الألمانية .

رابعاً — الحالة المعنوية وخصوصاً عند الشيوعيين ورؤساء العمال الذين كانوا يديرون الأداة الفعلية لصناعة الحرب ، فقد كانت الحالة المعنوية عند هذه الطبقة من الشعب الفرنسي من أحط ما يمكن وفي منتهى الضعف .

ويشير أندريه موروا بعد عرض هذه الأسباب إلى أن الشعب الذي يريد أن لا يفقد حريته يجب أن يكون مستعداً للموت في سبيل الوطن الذي يضم جميع الأحزاب ، والتي كثرت بها الأحزاب حرمت من قطاره في سير الحياة . ثم ينقل موروا بعد ذلك قصة مؤثرة حدثت أثناء هزيمة الفلاندرز إذ وقف فلاح شيخ يشاهد جموع اللاجئين والجنود الهاربين من وجه الغزو الألماني ، فملأت عينيه الدموع ، ثم نظر إلى قائد إحدى الفرق المدبرة قائلاً في حسرة :

— أية خسارة يا سيدي الكولونيل ! مثل هذا البلد العظيم !..

أما الكتاب الثالث فهو للكاتب الأمريكي كاربوت وعنوانه « أوربا في الربيع » وهو يتناول الحالة المعنوية للشعب الفرنسي وشعوره بإزاء الحرب الحاضرة وأثر الخيانات المتوالية ، ثم عرض لأسباب الهزيمة ، وهو يختلف عن موروا في إرجاعه أسباب الهزيمة لعاملين أساسيين هما : اعتماد الفرنسيين الكلي على خط ماجينو ، واستهتارهم — أو سوء تقديرهم — لقوة ألمانيا الحقيقية .



طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — بشارع الكرداسي رقم ٩ بعابدين . مصر